الفصل الرابع والخمسون

الغزو وأيام العرب

الغزو :

والغزو في تعريف علماء اللغة : الطلب . وهو مورد من أهم مـوارد الرزق عند الأعراب ، لا سيما في سني انحباس السماء وانقطاع الغيث وغضب السماء على الأرض ونفورها منها ، حيث تقطع غرامها بها ، فتحبس عنها دموعها المعـبرة عن شوق السماء الى الأرض وعن مكانهم المنكوب الى مكان آخر فيه ماء : بئر أو ماء جار ، أو عين دائمة والاستيلاء عليه عنوةً وقهراً ، أو صلحاً بغير قتال، وذلك إذا وجد أصحاب الماء أن من غير الممكن لهم ، مقاومة الغزاة ، وأن خير ما يفعلونه للحفاظ على حياتهم ، هو ترضية الغازين والتودد اليهم ، وارضـائهم من غير حرب ولا قتال ، وفي ذلك توفيق بين مصلحة الغازين والقارين .

وقد يقع الغزو لأسباب أخرى لا علاقة لها بانحباس المطر ، بل بسبب طمـع القبائل بعضها في بعض ، ولا سيما القبـائل التي ترتبط بروابط حلف مع قبائل أخرى . والعادة أن القبائل القوية تطمع في القبائل الضعيفة لتأخذ منها ما عندهـا من مال ورزق . فتغزوهـا لتستولي على ما طمعت به ، وقد تنجح وقد تفشل وتخسر . والقبائل الضاربة على أطراف الحضارة ، تطمع في الحضر لما عندهم من رزق حرمت منه ، من رزق وافر ومن ماء ومن وسائل عيش رغيدة ، فتغزوهم ولهذا صار من اللازم على الحضر تعزيز أنفسهم ، بناء حصون وآطام ومناظر لمراقبة

الغزاة ، وبشراء سلاح لا يتوفر عند الأعراب من سيوف ماضية صلبة حادة ، ومن اتخاذ حرس من الرقيق والمرتزقة ليساعدهم في الدفاع عن حاضرهم ، أضف الى ذلك شراء سادات القبائل الضاربين حولهم بالمال وبالهدايا وبالألطاف ، لمنع أعرابهم من التحرش بهم ، ولمنع الأعراب الغرباء الذين قد يطمعون فيهم من الدنو منهم .

أضف الى ما تقدم من أسباب وقوع الغزو : أثر العلاقات الشخصية بين سادات القبائل ، من زواج وطلاق ، ومن حسد وتنافس ، ومن كلمة نابية قد تثير حرباً بين قلبي شخصين متنافرين ، ومن عمل سفيه جاهل يثير غزواً وحرباً بسبب عصبية قومه له ، ودفاع الجانب الآخر عن صاحبهم حمية وغيرة . الى غير ذلك من عوامل معقولة مفهومة وعوامل تافهة سخيفة تجد لها مع ذلك مكانة في القلوب فتثير غزواً وتسبب نكبة لأناس مساكين فقراء ، لا دخل لهم في كل خصومة ، وكل ما لهم أنهم من قوم غضب عليهم قوم آخرون ، فزادوا في تعاسة إخوانهم المغزوين. والغازي والمغزو مع ذلك معدم محروم من النعم التي وهبتها الطبيعة لغيرهم من البشر ، بأن جعلتهم في أرضين خصبة ذات ماء وخيرات وجو حسن ، أما هؤلاء التعساء أبناء البادية ، فلم يجدوا أمامهم من رزق متيسر سهل سوى الترزق عن طريق هذا الغزو .

فالغزو إذن هو حاصل ظروف طبيعية واقتصادية واجتماعية ، ألمت بالأعراب وأجبرتهم على ركوب هذا المركب الخشن . كارهين أم مختارين فليس للأعرابي للمحافظة على حياته ولتأمين رزقه غير هذا الغزو . وقد بقي يغزو حتى في الاسلام، مع منع الاسلام له لا يجد فيه مع ذلك غضاضة ولا بأساً . وهو إن امتنع اليوم منه وطلقه ، فإنه لم يتركه عن إرادة واختيار وطيب خاطر ، وانما امتنع منه لأنه يعلم انه إن قام به ، فإن هنالك حكومات أقوى منه ، لها أسلحة لا يملكها ولا يستطيع التغلب عليها ، وعلى رأسها الطائرات ، ستفتك به فتكاً ذريعاً ، وتكرهه على الخضوع لأحكامها ، وعلى الاستسلام لها ، وعلى تجريده مما يملكه ومما يستولي عليه لذلك خنس وسكت عن الغزو .

ومن هذا الغزو ، غزو وقع في الجاهلية بين قبائل صغيرة ، لذلك لم ينل من أهل الأخبار حظاً من الذكر والرعاية والعناية ، ولم يجد له مكاناً بارزاً في صفحات كتب الأخبار ، وغزو كبير خلد الشعر الجاهلي ذكره، فأخذ رواة الشعر يتسقطون

أخباره ، ويجمعون ما وعته ذاكرة رواة الأخبار من أمره ، فوجد له مكاناً فسيحاً رحباً في شروح الشعر الجاهلي وفي كتب الأخبار والأدب وقد عرف مثل هذا الغزو الخالد بـ (أيام العرب) وبـ (ايام القبائل) . وقد ذكر صاحب كتاب (الفهرست) أسماء جماعة من علماء الأخبار ألّفوا فيها ، وشغلوا أنفسهم بجمع أخبارها ، دوّنوها في كتب وفي جملتها مدونات عن أخبار ايام وقعت بين بطون قبيلة واحدة .

وقد تداول الجاهليون أخبار الغزو ، وصيرت القبائل المنتصرة الأيام التي انتصرت فيها ملاحم ، تعيد قصها في مجالسها وأنديتها ، وقد زخرفت قصصها بأخبار الشجعان الذين برزوا فيها ، وبالغت في أخبار شجاعتهم حتى طغت على أخبار الغزو نفسه ، وصار البطل رمزاً للقبيلة ، تستمد منه الشجاعة والإقدام في النصر وفي الهزائم والخسائر . فالنصر كما نعلم لا يدوم لأحد . وربّ قبيلة وكر عليها طير السعد فسعدها الحظ بالنصر ، ثم طار عنها ، لأن الأيام الحلوة لا تدوم أبداً . وقد تصاب القبيلة المنتصرة بنكسة ، فتعوض عن ذكرى خسارتها ، بذكرها انتصارها في الماضي ، فيكون الماضي خير مسل لها عن مرارة الهزيمة ، وأحسن مشجع وباعث على النصر في غزو المستقبل .

وقد أمدتنا أخبار الغزو بأسماء عدد من أبطال الجاهلية عرفوا بالشجاعة ، لا تزال أخبار بعضهم تروى وتقص على الناس . وتقرأ قصتهم في المجالس مثل قصة (عنترة) التي حصلت على النصيب الأوفر من الشهرة والذكر من بين القصص المروي عن أبطال الجاهلية ، وهو قصص ، مهما قيل عنه ، وعما ورد فيه من مبالغات ، فإنه لا يصل إلى درجة القصص المروي عن أبطال الفرس القدماء أو اليونان أو الرومان أو العبرانيين في المبالغة بشجاعتهم وبقوة أجسامهم الخارقة .

لقد فرضت الطبيعة على العربي أن يكون محارباً غازياً ، فقد حرمته من خيرات هذه الدنيا ومن طيبات ما تنبت الأرض . حرمته من وجود حكومة تحميه وتدافع عنه وحرمته حتى من وسائل الدفاع عن النفس . فجعلته لا يملك شيئاً يكنّ اليه في البوادي ليحمي به نفسه من الرياح السموم ومن أشعة الشمس القاسية ومن الحيوانات الوحشية ، وجعلته يقابل المرض بمفرده ، إذ ليس في البادية طبيب حاذق دارس . فلم يكن أمامه والحالة هذه إلا أن يعلّم نفسه الصبر ، وان يصير محارباً غازياً لا يبالي بالنصر أو بالخسارة ، بالحياة أو بالموت . إن خسر هذه

المـــرة ، حاول تعويض الخسارة بجولة جديدة وهكـــذا . لأنه إن يئس وجلس واستسلم للزمان ، أكله جار له يطمع في ماله مهما كان،فهو لا بد له من استعداد لغزو جديد .

وفقر البادية قد حدد في الوقت نفسه من غرام الأعراب في الغزو . إذ جعل أسلحتهم محدودة وامكانياتهم في القتال دون امكانيات الحضر بكثـــير . لذا صار غزوهم للحضر كرٌ سريع وفرّ بأقصى ما يكون من السرعة ، للنجاة بما حصلوا عليه من سلب ، أو للنجاة بأنفسهم من القتـل في حالة الخسارة والهزيمة . ولهـذا كانوا يحسبون ألف حساب حين يريدون غزو حدود الحكومـــات الكبيرة ، ولا يقدمون عليه إلا بعـد درس وتأمـل ووقوف على مواطن الضعف والثغرات في خطوط الدفاع لتلك الحكومات . أما غزوهم بعضهم بعضاً ، فـــإن أسلحتهم فيه متساوية متكافئة . سيوف ورماح ورمي بالسهام . والذي يكسب النصر فيه ، من له عدد وافر كثير وخيل وفرسان شجعان ، يأخذون الخصم بمباغتة ومفاجأة .

الخيل :

وللخيل نصيب كبير ولا شك في الغزو وفي اكثاره في جزيرة العرب إذ صارت سبباً من أسباب توسيع رقعة الغزو والحروب . فالقبيلة التي تمتلك عدداً كبيراً من الخيل يكون لها النصر في الغالب ، لأن الخيل سريعة الحركة وهي تمكن الفارس من مقارعة خصمه بسرعة،ومن ملاحقة الراجل والوصول اليه بسهولة ، فلا يكون أمامه عندئذ سوى المقاومـــة أو القتل أو الوقوع في الأسر . وبفضل الخيـل ظهر الأبطال الفرسان ، الذين نقرأ أسماءهم في أخبار الأيام . والحصان مثـــل البطل ، يجب عده من أبطال معارك تلك الأيام . فقد مكّن القبائل الغنية من بسط نفوذها على القبائل الضعيفة . فالجمل ثقيل الحركة بطيء السير بالنسبة الى الفرس ، وفي امكان من لديه عدد كبير من الخيل غزو القبائل التي لا تمتلك مثل هـــذا العدد من الخيل ، حتى وإن امتلكت عدداً كبيراً من الإبل والرجال . لما ذكرته مـن سرعة حركة الخيل ومن مرونتها في القتال وفي الكر وفي الفر ، ثم لصبرها ولتحمل أعصابها على ضبط نفسها في القتال بالنسبة الى الجمل الذي يهيج بسرعة فتثور أعصابه، فيولي لا يبالي الى حيث يوجهه هياجه، ملقياً براكبه عن ظهره في بعض الأحيان،

أو يذهب طائشاً مسرعاً ، لا يخضع لتوجيه راكبه له . والجمل إذا هاج صار من الصعب على صاحبه الامساك بزمامه وتوجيهه حيث يريد .

وقد اشتهر بعض الناس بالعدو ، من هؤلاء : (سليك بن السلكة) المعروف بـ (سليك المقانب) . وكانت أمه سوداء . وهو أحد أغربة العرب ، وأعدى الناس ، لا يشق غباره ، وقد أشير اليه في الشعر[1] . وقد استفيد منهم في الغزو ، فكان منهم المخبرون المتلصصون لأخبار الغزاة أو المغزوين . وكان منهم من يباغت ويفر ، فلا يلحق به مـــاش . فإذا لحقه أحد أتعبه في عدوه ، حتى إذا تعب انقض عليه .

الجمل :

وقد أكون مقصراً هنا إذا أهملت الحديث عن صديق جزيرة العرب وأليفهـــا الحبيب : الجمل . لقد تحدثت عنه في الجـــزء الأول من هذا الكتاب في أثناء تحدثي عن جزيرة العرب وعن ثرواتها بما فيه الكفاية ، ولكنني لا زلت بحاجـــة إلى التحدث عنه بشيء لم أذكره في ذلك المكان[2] ، وسأذكره هنا لما له من صلة بهذا الموضع .

والإبل هي المال عند العرب . وبها كانوا يقدرون أثمان الأشياء ويتعاملون في تجارتهم وفي أسواقهم . فالجمل عندهم هو وحدة قياسية في البيع وفي الشراء وفي تقدير الحقوق كالديات والفدية والمهور والاراشة وما شاكل ذلك . وبمقدار ما يملك الانسان من جمال تقدر ثروته وينظر إلى غناه ، لأنه الحيوان الوحيد الذي في إمكانه قطع البوادي بخيلاء ، رافع الرأس ، غير عابىء بما يكون تحت أخفاف أرجله من رمال ، هازىء بالعطش إذ هو صبور عليه ، لمدة لا يمكن أن يباريـــه في طولها حيوان آخر . ثم هو يحمل الانسان ويحمل متاعه . وهو طعام الانسان إن مضه الجوع ، أو جاءه ضيف كبير . وهو يشرب حليب النوق ويجد فيه شفاءً وعافية وتعويضاً عن الماء والطعام . فلا عجب إذن إن اتخذ الأعرابي الجمـــل مقياساً للثروة والمال .

---

١ الثعالبي ، ثمار (١٠٥) .
٢ (ص ١٩٧) .

والإبل على منازل ودرجات فيها الجمل الأصيل المقدر وفيها الجمل الجرود المبتذل . وخير الإبل عندهم : الإبل الحمراء ، لأنها أصبر من غيرها على الهواجر ، والعرب تفتخر بعدد ما عندها من الجمال الحمر ، لغلاء ثمنها بالنسبة إلى الجمال الأخرى ومن هنا ضرب العرب بها المثل حين قالوا : « ما أحب ان لي بمعاريض الكلم حمر النعم »[1] . فالمراد بحمر النعم : الإبل الحمراء .

والإبل الصهباء من الإبل الجيدة الشريفة في نظر العرب . (قال ابن الأعرابي : تقول قريش : الإبل صهبها وأدمها ، يذهبون في ذلك إلى تشريفها على سائر الإبل . وقد أوضحوا ذلك بقولهم : خير الإبل : صهبها وحمرها . فجعلوها خير الإبل)[2] . وقيل الأصهب من الإبل الذي يخالط بياضه حمرة . وهو ان يحمر أعلى الوبر ويبيض أجوافه . وقد عرفت هذه الإبل بسرعتها . والصهباء الناقة الصهابية . وفي الحديث : كان يرمي الجمار على ناقة صهباء . وإبل صهابية منسوبة إلى فحل اسمه (صهاب) ، أولد الإبل الصهابية[3] .

وعدت الإبل الرمكاء ، من أبهى إبل العرب . وأما النوق الخور ، فهي النوق التي تمتاز عن غيرها بكثرة ألبانها ، وتكون ألوانها بين الغبرة والحمرة وفي جلودها رقة . وقد عدت من الجمال الرقيقة الحسنة . قالت العرب : الحمر من الإبل أطهرها جلداً والورق أطيبها لحماً والخور أغزرها لبناً . وقد قال بعض العرب : « الرمكاء بهياء والحمراء صبراء والخوّارة غزراء »[4] .

ويقسم أهل الأخبار الإبل ثلاثة أصناف : يماني ، وعرابي ، وبختي . فاليماني هو النجيب وينزل بمنزلة العتيق من الخيل . والعرابي كالبرذون . والبختي كالبخل . وذكر أن في الإبل ما هو وحشي وأنها تسكن أرض وبار ، وهي غير مسكونة بالناس . وتسمى الإبل الوحشية (الحوشي) . ويذكرون أنها من بقايا إبل (عاد) وثمود . والمهرية منسوبة الى (مهرة) ، وهي سريعة العدو ، ويعلفونها من قديد

---

١ تاج العروس (٣/١٥٨) .
٢ تاج العروس (١/٣٤١) ، (صهب) .
٣ قال طرفة :
صهابية العثنون موضة القرا بعيدة وخد الرجل موارة اليد
تاج العروس (١/٣٤٢) ، (صهب) .
٤ تاج العروس (٣/١٩٢ وما بعدها) ، (خور) ، (٧/١٣٧) ، (رمك) .

سمك يصطاد من بحر عُمان[1] . وذكروا أن (الحوشي) الوحشيّ من الإبل وغيرها. منسوب الى بلاد الجن من وراء رمل (يبرين) ، لا يمرّ بها أحد من الناس . وقيل هم من بني الجن . وقيل هي فحول جن ، تزعم العرب أنها ضربت في نعم بني مهرة بن حيدان فنتجت النجائب المهرية من تلك الفحول الوحشية،فنسبت اليها ، فهي لا يكاد يدركها التعب[2] .

ولتحمل الإبل الجوع والعطش ولصلاحها على المشي في البوادي صارت خير أليف للعرب . وقد اشتهر بعض منها ، لاشتراكه في الغزو والحروب . وكانوا يسابقون بين الإبل . وسابق الرسول بين الإبل ، وكانت ناقته القصواء سريعة الجري فسبقت مراراً . وتعدّ لحوم الإبل من اللحوم الطيبة عند الجاهليين . أما اليهود ، فكانوا يحرمون عليهم أكل لحومها . وذكر (النويري) أن من الناس من قال : « إن العرب إنما اكتسبت الأحقاد لأكلها لحوم الجمال ومداومتها »[3]، لاتهامهم الجمل بالحقد واللؤم ، وبعدم نسيانه الإساءة .

والجمل من الحيوانات القانعة الصابرة . وهو الحيوان الوحيد الذي رضي بمرافقته الأعراب ومصادقتهم منذ آلاف السنين . ولولا هذا الجمل لما كان في استطاعة العرب اختراق جزيرتهم ، والتنقل فيها من مكان الى مكان . وبفضله اتصل عرب جزيرة العرب بعضهم ببعض وقامت المستوطنات في مواضع نائية منعزلة من بلاد العرب وقهر العربي ظهر باديته . وتكونت فيها تجارة برية . وطرق برية طويلة يخترقها الجمل بغير كلل ولا ملل ، صابراً على العطش حتى يصل الى مرحلة بعيدة فيها يكون فيها ماء وفي استطاعة الجمل تحمل العطش مدة أربعة أو خمسة أيام في الصيف ، ومدة خمسة وعشرين يوماً في الشتاء . لأنه يختزن الماء في جوفه ويعيش عليه . حتى صار هذا الماء المخزون في جوف البعير سنداً للأعراب وأملهم الوحيد في انقاذ حياتهم عند اشتداد العطش بهم ، وانقطاع الماء عنهم . ولما عبر خالد بن الوليد البادية لفتح بلاد الشأم اختزن الماء في أجواف الابل ، لقلة الماء في البادية ، فلما اشتد العطش بجيشه ، ذبح بعض الإبل وأسقى من الماء المخزون في أجوافها ، وبفضله تمكن الجيش من الصمود أمام أهوال العطش ومن الوصول

---

١ نهاية الأرب (١٠/١٠٩ وما بعدها) .
٢ تاج العروس (٤/٣٠٢) ، (حاش) .
٣ نهاية الأرب (١٠/١١٠) .

الى بلاد الشأم بسلام. وهكذا ساهم هذا الحيوان في انتصار خالد على جيش الروم.

ولا زال الجمل عماد الأعراب في حياتهم. ولا يمكن أن نتصور وجود أعرابية بغير جمل وقد أناط إنسان القرن العشرين به أعمالاً جديدة لم يكن يعرفها، فعهد إليه نقل الآلات الحديثة ومنتوجات حضارة هذا القرن في البوادي فنجح في أدائها أحسن نجاح. ومع ذلك، فان الزمن ضده، فالجمل بطيء لا تتناسب سرعته وسرعة عصور السرعة وطفرات التطور الحديث، ولا بد وأن يأتي عليه يوم سيحال فيه على التقاعد عن العمل، فيقل بذلك وجوده، ويصير مكانه في حدائق الحيوان.

ولتمييز الإبل وتعيين أصحابها، وُسمت بسمات وعلمت بعلامات عرفت عندهم بـ (سمة) و (سمات)، توسم في الخد والعنق والفخذ، على صور شتى، مثل المشط والدلو والخطاف، أي على صورة هذه الأشياء[1]. ويكون وسم الإبل بالميسم: حديدة تحمى فيكوى بها، فتترك أثراً على الموضع الذي كوي. وذكر ان الوسم أثر، أثر كيّة، يقال: موسوم، أي قد وسم بسمة يعرف بها، إما كيّة، وإما قطع اذن، أو قرمة تكون علامة له. والوسام والسمة ما وسم به الحيوان من ضروب الصور. وفي الحديث انه كان يسم إبل الصدقة، أي يعلم عليها بالكي[2].

وسمات الإبل: السطاع، والرقمة، والخباط، والكشاح، والعلاط، وقيد الفرس، والشعب، والمشيطفة، والمعفاة، والقرمة، والجرفة، والخطاف، والدلو، والمشط، والفرتاج، والثؤثور، والدماغ، والصداع، واللجام، والهلال، والخراش، والعراض، واللحاظ، والتلحيظ، والتحجين، والصقاع، والدمع[3].

ويقع الغزو في وجه الصباح في الغالب، ولذلك يقال: (صبحوا بـ ...) أي أتوا صباحاً. وقد يقال: (صبحه بكذا)، أي بعدد يذكر من رجال الغزو. ومن ذلك قول بجير بن زهير المزني:

صبحناهم بألف من سليم وسبع من بني عثمان وافى

أي أتيناهم صباحاً بألف رجل من (بني سليم)[3].

---

١ تاج العروس (٥/٢٢٤)، (مشط).
٢ تاج العروس (٩/٩٢)، (وسم).
٣ تاج العروس (٢/١٧٤ وما بعدها)، (صبح).

أيام العرب :

عرفت الحروب والمناوشات التي وقعت بين القبائل بعضها مع بعض ، أو بين ملوك اليمن والقبائل أو بين الفرس والعرب أو بين الملوك العرب والقبائل بـ (الأيام) وبـ (ايام العرب)[1] . وهذه الأيام تؤلف – في الواقع – القسط الأكبر من علم الأخباريين بتأريخ الجاهلية ، ومادتها القصص الذي تناقله الناس عمن شهدوها ، وحفظوه في صدورهم ، إلى أن كان التدوين فدوّن . وهو مادة محبوبة تناولها الناس في الجاهلية والاسلام بلذة وشوق ، فكانت هي والشعر الجاهلي من أهم المجالس . (قيل لبعض أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ما كنتم تتحدثون به إذا خلوتم في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ، ونتحدث بأخبار جاهليتنا)[2] ، وأهم أخبار الجاهلية هي هذه الأيام .

ومادة هذه الأيام عربية خالصة ، يتخللها شعر قيل بالمناسبة في تلك الأيام في الفخر والحماسة وفي هجاء الخصم والانتقاص منه . والفضل هو لهذا الشعر في حفظ أخبار تلك الأيام ، وصيانتها من النسيان ، لاضطرار الراوي والسامع إلى الاطلاع على المناسبة التي قيلت فيها تلك الأشعار . وعلى هذه المادة العربية اعتماد المؤرخ في تدوين تأريخ العرب في الجاهلية ، وتتبع التطورات السياسية التي حدثت قبيل الاسلام .

وفي شعر المخضرمين وشعر الشعراء الاسلاميين الذين نبغوا في العهد الأموي مادة تفيدنا في الوقوف على خبر تلك الأيام . فقد حفظ تفاخر الشعراء بقبائلهم ومهاجاة بعضهم لبعض آثار تلك الأيام ، فدونت في شعر الهجاء والتباهي والتفاخر ، وزاد بذلك علمنا الذي أخذناه من أخبار الأيام ومن الشعر الجاهلي الذي أشير فيه اليها .

وموضوع كموضوع الأيام ، لا بد أن يقبل العلماء عليه اقبالاً كبيراً ، وهذا ما وقع ، فألف فيه جماعة ، منهم (أبو عبيدة) المتوفى سنة (٢١٠) أو (٢١١) للهجرة ، وأدخله قوم في مؤلفاتهم ، فأفردوا له باباً أو أبواباً ، ولكنا لا نملك حتى اليوم كتاباً قديماً قائماً بذاته في الأيام . وكل ما نملكه هو هذه الأبواب الداخلة

---

١ اللسان (١٣٩/١٦) .
٢ العقد الفريد (٣/٦ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٣٣٨/١٥) ، ENCY. I, p. 218.

في بطون كتب الأدب في الغالب، وفي بعض كتب التأريخ والجغرافيا ، سأشير اليها في أثناء حديثي عن الشهير من هذه الأيام[1] .

وقد أشار (ابن النديم) وغيره الى أسماء مؤلفين ألّفوا كتباً في أيام العرب[2]. منهم من ألف عنها كلها ، ومنهم من ألف عن بعضهـا . ومنهم من ألف في أيام قبائل معينة . لكنها لم تطبع ، ولعل من بينها من قـد يطبع في المستقبل . وقد ورد أن (أبا الفرج الأصبهاني) قد استقصى أيام العرب في كتـاب أفرده لذلك ، فكانت أيامة ألفاً وسبعمائة يوم[3] .

ولكن هذه الأيام غير منسقة ويا للأسف ، ولا مبوّبـة على حسب ترتيب الوقوع ، وتسلسل الزمن . ثم إن من الصعب استخراج مستند منها يمكن الاعتماد عليه في تصنيف هذه الأيام ، وتنظيمها على أساس تأريخي ، مع انها مادة المؤرخ الذي يريد كتابة تأريخ جزيرة العرب قبل الاسلام ودراسة التطور السياسي فيها . وقد حاول المستشرقون تنسيقها وترتيبها على أساس تواريخ الوقوع ، فلم يفلحوا إلى الآن في الوصول إلى نتيجة مرضية . ولو كانت لدينا معارف عن أحوال من أسهم فيها وأجّج نارها ومن قال شعراً فيها[4] ، تنير لنا السبيل لتثبيت التأريـخ وضبط السنين ، لصار في امكاننا ضبطها وتعيين تواريخها استناداً إلى هذا المروي عن أولئك . ولكن ما نعرفه عن هؤلاء الرجال ، وهم أبطالها وأصحابها ، لا يقل غموضاً وابهاماً من حيث التواريخ والسنين عن غموض تواريـخ تلك الأيام وإبهامها، ولذلك فكل ما يقال عن تواريخ الأيام وترتيبها والسنين التي وقعت فيهـا ، هو حدس وتخمين . وسيبقى الحال على ذلك ، حتى تتهيـأ مادة جديدة كنصوص جاهلية مدونة أو موارد أخرى قد تتعرض لتلك الأيام بتأريخهـا أو بتأريـخ من اشترك فيها على وجه مضبوط صحيح . وعندئذ يكون في الامكان تدوينها على نحو علمي يشرح لنا تطور الحوادث عند العرب قبيل الاسلام .

ولوجود مجال واسع للعب العاطفة في أخبار الأيام ، تجب دراسة الروايات على حذر ، والتفتيش — على قدر الامكان — عن روايات متعددة عن اليوم الواحد،

---

١ الفهرست (٨٥) ، العمدة (٢/٢٠٠ وما بعدها) ، صبح الأعشى (١/٣٩٣) .
٢ الفهرست (١٤٨) ، (أخبار هشام الكلبي) .
٣ بلوغ الأرب (٢/٦٨) .
٤ العمدة (٢/٢٠٠ وما بعدها) ، صبح الأعشى (١/٣٩٣) ، الفهرست (٨٥) .

للمقارنة والمقابلة والغربلة. وليس هذا بأمر ميسور،لأن الروايات والأخبار محدودة، وهي ترجع بآخرة إلى نفر تستطيع حصرهم . فهذه الأبواب، وإن كانت متعددة منثورة بين مؤلفات ، دوّنها مؤلفون مختلفون ، إلا انها أخذت من ذلك النفر ، فهي لم تأت لهذا السبب في ثناياها بشيء جديد .

وفي هذا النفر المذكور ، نفر منحاز متحزب ، يشايع قومه ، ويريـد نسبة الغلب والتفوق لهم ، والغض جهد إمكانه من خصوم قومـه ومن الأطراف التي خاصمت قومه واشتبكت معها في قتال ، وهو مكثر بالنسبة لجماعته ، مبالغ يسند مبالغاته بكلام منثور ومنظوم ، ليثبت صحة قوله . ولهذا وجب الانتباه لهذه الناحية والحذر من تصديق كل رواية وإن نسبت الى خيرة من نثق بعلمهم من الرواة .

وهذه الأيام ليست حروباً بالمعنى المفهوم من الحرب ، فإن منها مـا هو مجرد مناوشات أو مهاترات وغزوات لم يسقط فيهـا إلا بضعة أشخاص ، ومنها أيام وقعت في عدة سنين كانت تثار فيها الحرب حينما تتجدد المناسبات ، وتنتهي بتسوية يتفق فيها على دفع ديات القتلى وإنهاء المشكلات التي كانت السبب في إثارة تلك الحرب ، فإذا ما انتهت ، بقيت القبيلة المنتصرة تفتخر بيومها وبأيامها ، وبأسماء أبطالها الذين رفعـوا اسمها فيها . وطالما جرّ التباهي والتفاخر القبائل الى حرب جديدة ، بسبب جواب قد يصدر من سفيه عابث لا يرضيه سماع ذلك الفخر ، أو من قبيلة مغلوبة لم يكن من السهل عليها أو على أفرادها سماع هذا الكلام .

والنابه من هذه الأيام،معدود عند بعض العلماء محدود . وقد حصرها (أبو عبيدة) في الأيام الكبيرة العظيمة ، التي ساهم فيها عدد كبير من الفرسان . وجعلهـا : يوم الكلاب ، ويوم ربيعة ، ويوم جبلة ، ويوم ذي قار[1] .

وأكثر أسباب هذه الأيام ، هو عسف حكام القبائل القوية في القبائل الضعيفة الخاضعة لهم ، بسبب الإتاوة التي كانوا يلحون في جبايتها غير مفكرين في الظروف والأوقات ، أو بسبب نزاع على ماء ومرعى ، أو أخذ بثأر ، أو محاولة للتخلص من حكم القبائل على القبيلة بظهور شخصية قوية فيها ، وأمثال هذه من أسباب ، قد يكون بينها سبب تافه سخيف ، يؤدي إلى إزعاج المتخاصمين بسبب النزعـات العاطفية التي تتغلب عند القبائل في غالب الأحوال على العقول .

---

١ الأغاني (١١/١٣١) .

والعادة أن يُعَنْون اليوم باسم الموضع الذي حدثت فيه المعركة ، أو بالشيء البارز في تلك الحرب ، أو باسم القبائل التي اشتركت فيه . ومن هذه الأيام ما وقع بين قبائل قحطانية ، ومنها ما وقع بين قبائل عدنانية ، ومنها ما وقع بين قبائل قحطانية وقبائل يرجع النسّابون نسبها الى مضر وربيعة ، وإلى معدّ ، والى عدنان ، فهي أيام وقعت إذن بين جماعتين هما في عرف النسابين من جدَّين ، هما : قحطان وعدنان . وهما جدّا كل العرب الأحياء .

ومن الأيام التي وقعت بين القبائل القحطانية : يوم البردان ، ويوم الكُلاب الأول وعين أباغ ويوم حليمة ويوم اليحاميم ، وأيام الأوس والخزرج . وأما أيام القحطانيين والعدنانيين ، فمنها : يوم البيضاء ، ويوم طخفة ، ويوم أوارة الأول، ويوم أوارة الثاني ، ويوم السلاّن ، ويوم خزاز ويوم حجر،ويوم الكلاب الثاني، ويوم فيف الريح ، ويوم ظهر الدهناء[1] .

وأما الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية ، فمنها ما وقع بين قبائل ربيعة فيما بينها ، ومنها ما وقع بين ربيعة وتميم ، ومنها ما وقع بين قبائل قيس فيما بينها ، ومنها ما وقع بين قيس وكنانة ، ومنها ما وقع بين قيس وتميم ، ومنها أيام ضبة وغيرهم[2] .

وهناك أيام وقعت بين العرب والفرس مثل يوم الصفقة ويوم ذي قار .

وقد تحدثت عن الأيام التي وقعت بين القبائل القحطانية ، وعن الأيام التي وقعت بين العرب والفرس في الأماكن المناسبة الخاصة بها . فلست أجد حاجة ها هنا إلى الكلام عليها مرة ثانية ، وسأقتصر هنا على الأيام الأخرى[3] .

والأيام بين ما يسمى بالقبائل العدنانية أكثر بكثير من الأيام التي وقعت بين القبائل القحطانية ، وسبب ذلك هو انها أكثر بداوة وأعرابية من القبائل الثانية ، وأن من طبع البداوة : الفردية والخصومة والتنازع والتحاسد ، بسبب ضيق العيش وقلة المال وتحوّل القبائل من مكان إلى مكان وراء الماء والكلأ . لذلك قلّ اجتماع العدنانيين تحت رئاسة رئيس واحد ، وتقاتلوا وتخاصموا ، وفضلوا الخضوع لحكم

---

١ أيام العرب (ج وما بعدها) .
٢ أيام العرب (د وما بعدها) .
٣ المحبر (٢٤٦) .

رئيس بعيد عنهم على الخضوع لرئيس منهم ، لأن النفسية الأعرابيـة ترى في خضوع أعرابي لأعرابي من جنسه استكانة ومذلة.أما خضوعها لحكم غريب عنها ، فليس فيه شيء من ذلك ، ولهذا خضعت لملوك المناذرة أو الغساسنة أو لكندة أو للتبابعة ، ونفرت من الخضوع لرئيس عدناني لعقـدة التنافس والتناحر بين ذوي القربى .

والقبائل العدنانية ، قبائل خشنة شديدة المراس ، القتال عندها طبيعـة ، ولو اتحدت وجمعت كلمتها ووحدت أمرها ، لكانت قوة لا تغلب ، ولكنها، وهي على هذه الصفة من التخاذل والتنافر ، صارت خاضعة لحكم القحطانيين، وأخصّهم التبابعة على ما يذكره الرواة . فكانوا يعينون عليهم حكاماً وينصبون عليهم أمراء منهم ، بل يذكر أهل الأخبار أن العدنانيين كانوا يذهبون هم أنفسهم إلى أولئك التبابعة أحياناً يطلبون منهم تنصيب شخص منهم،أو تعيين أمير عليهم من أصحاب المنزلة والمكانة ، لأنهم سئموا من التقاتل والتشاحن ، بقوا على ذلك دهراً حتى سئموا حكم التبابعة والقحطانيين لهم ، فثاروا عليهم كما يذكر أهل الأخبار .

وسأقتصر في هذا الفصل على الأيام المهمة التي كان لها في شؤون السياسة القبلية شأن وخطر . أما الأيام الصغيرة التي لم يكن لها شأن يذكر ، فأدع الحديث عنها إلا بقدره . وأما الحامل منها ، فسأترك أمره إلى كتب الأخبار والأدب ، لعدم وجود مكان لها في حديثنا العام عن تأريخ العرب قبل الاسلام .

ومن أمهات الأيام التي وقعت بين القحطانيين والعدنانيين : يوم طخفة ، ويوم أوارة الأول ، ويوم أوارة الثاني ، ويوم السلاّن ، ويوم خزاز ، ويوم حجر، ويوم الكلاب الثاني ، ويوم فيف الريح ، ويوم ظهر الدهناء . وقد تحدثت عن بعضها في أثناء كلامي على ملوك الحيرة أو الغساسنة ، وسأتحدث عما لم أتناولـه من قبل .

ومن الأيام التي وقعت بين قبائل قحطانية وقبائل عدنانية ، يوم يسمى بـ (يوم البيضاء) (البيداء)[1] وكان سببه مجيء مذحج ، وهي قبيلة قحطانية من اليمن، قاصدة متسعـاً من الأرض وموطناً جديداً صالحاً ، فاصطدمت بقبائل معد النازلة بتهامة ، وتهامة هي موطن معد القديم في عرف أهل الأخبار ، فبرزت لها قبيلة

---

١ المحبر (٢٤٦) .

عدوان ورئيسها يومئذ عامر بن الظرب العدواني . جمع عامر هـذا من كان في تهامة من قبائل معد،وهاجم مذحجاً فغلبها في موضع (البيضاء) . ويقول الأخباريون إن هذا اليوم هو أول يوم اجتمعت فيه معد تحت راية واحدة ، هي راية عامر ابن الظرب . وقد اجتمعت بعدها مرتين تحت راية واحدة : مرة تحت راية ربيعة ابن الحارث في قضاعة، ومرة أخرى تحت راية كليب بن ربيعة[1] . فهذه المعركة هي من المعارك القديمة التي وقعت بين العدنانيين والقحطانيين على رأي الأخباريين .

وعامر بن الظرب هـذا ، رجل يعدّه الأخباريون من قدماء حكماء العرب وأئمتهم الذين تحاكم اليهم الناس ، وصارت أحكامهم سنة يتبعونها . وقد ذكر أهل الأخبار أنه أول من قرعت له العصا . ويرون في تفسير ذلك أنه كان قد كبر وهرم ، وكان الناس يأتون مع ذلك اليه ليحكموه فيما يقع بينهم من خلاف. فقال له أحد أولاده : « إنك ربما أخطأت في الحكم فيحمل عنك » ، فقال عامر : « فاجعلوا لي أمارة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت الى الصواب»: فجعلوا قرع العصا أمارة ينبهونه بها . فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة فيرجع الى الصواب[2] .

ولأهل الأخبار قصص عن عامر ، فقد ذكروا أنه كان أول من جلس على منبر أو سرير وتكلم ، ولجلوسه على منبر،سمّوه ذا الأعواد ، ونسبوا اليه أحكاماً وحكماً وأقوالاً وعمراً طويلاً ، وعدّوه من الفصحاء البلغاء ، وجعلوا أقواله مضرباً للأمثال[3] .

وأخذ رؤساء معدّ على عاتقهم الخروج على طاعة حكام اليمن ، أو من عينه هؤلاء الحكام عليهم،وذلك بعد ما تبين لهم من ضعف الحكم في اليمن ومن تقاتل المتنفذين فيها بعضهم مع بعض ، ومن تدهور الأحوال هناك . وكانت اليمن قد ولت (زهير بن جناب) زعيم كلب على قبائل معد . وكلب من قبائل قضاعة، فوافقت معـد على تعيينه وخضعت لحكمه ، وأخذت تؤدي الإتاوة له . وكان يخرج في حاشية لجمع الإتاوة ، فأصاب معداً ضيق شديد ، وأجدبت أرضهم ، فتأخروا عن الدفع ، فجاءهم زهير وألحّ في مطالبتهم ، فشكوا عجزهم،وطلبوا

---

١ ابن الأثير (١/٢٩٥) ، جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام (ص ٢٢٤) .
٢ ابن الأثير (١/٢٢٧) ، الأغاني (٣/٣ وما بعدها) .
٣ المحبر (٢٣٧ وما بعدها) .

إمهالهم والتخفيف عنهم . فما كان منه إلاّ أن منعهم النُّجْعَة والمرعى ، فنقموا منه ، وأصابهم من ذلك بلاء ، فغضب عليه رجل منهم من بني (تيم الله) ، اسمه زيابة ، واندس اليـــه وهو نائم فطعنه ، وظن أنه قتله ، ورجع الى قومه فأخبرهم بخبره ، ولكن (زهيراً) لم يصب بسوء ، ونجا من الطعنة ، وكان قد أخمد أنفاسه ولم يتحرك حـــتى يوهم (زيابة) أنه قتله ومات ، ثم أوعز الى حاشيته أن يعلنوا أنه مات ، وشاع خبر موته بين الناس ولكنه كان قد فَرَّ مع حاشيته الى قومه ، حيث جمع جمعهم ، ثم هجم بهم على بكر وتغلب،وقاتلهم قتالاً شديداً أدى الى هزيمة بكر ، ثم الى هزيمة تغلب من بعدها،وأسر (كليباً) و (مهلهلا) ابنيْ ربيعة ، وجماعة من أشراف تغلب . فتأثرت قبائل ربيعـة من هذه الهزيمة ، وعينت (ربيعة بن مُرّة بن الحارث بن زهير التغلبي) ، والـد (كليب) و (مهلهل) رئيساً عليها ، فحمل ربيعة ومن انقاد اليه عـلى زهير ، واسترجع الأسرى،ولكن زهيراً لم يلبث أن عاد إلى ما كان عليه من جمع الإتاوة من معد[1] .

وإذا أخذنا برأي الأخباريين القائلين إن تعيين زهير بن جناب على بكر وتغلب ابني وائل كان بأمر أبرهة الذي غزا نجداً ، وتوسع فيها ، فجاءه زهير ليتقرب اليه ، وليعينه على بعض القبائل ، يكون حكم زهير على هذا القول في القـــرن السادس للميلاد[2] .

وفي عهد رئاسة (كليب بن ربيعة) ، جددت قبائل ربيعة محاولاتها للتخلص من حكم اليمن ، وكان (كليب) شخصية قوية ، فاختارته قبائل معد رئيساً عليها، واجتمعت تحت لوائه ، والتقت باليمن في (يوم خزاز) ، فانتصرت معد فيه، وعدّ من أيامهـــا الكبرى قبل الاسلام[3] . ونظرت معـــد إلى كليب نظرة تجلة واحترام ، وجعلت له قسم الملك وتاجه وطاعته ، لأنـــه وحّدهم وأنقذهم من

---

١ المحبر (٢٤٩) ، ابن الأثير (١/٢٣٨) .

٢ ابن الأثير ، الكامل (١/٢٠٥) .

٣ (خزاز) ورد أيضا (خزازي) ، العقد الفريد (٦/٩٧) (تحقيق العريان) ابن رشيق ، العمدة (٢/٢١٢) ، (طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد) ، تحت (باب ذكر الوقائع والأيام) .

تعسف اليمن بهم[1] .

وقد داخل (كليب بن ربيعة) زهو شديد بعد هذا النصر ، وبعد سيادته بني معد ، فبغى على قومه ، وصار يتعسف في احماء الحمى ، فلا يرعى حماه أحد ، ولا يصاد فيه ولا تَرِدُ إبل مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره ، وبقي كذلك حتى قتله (جسّاس بن مرّة الوائلي) ، فتوالت الحروب بين تغلب وبكر وائل بسبب ذلك[2] .

وقد اختلف الأخباريون في هذا اليوم ، واختلفوا في اسم قائد قبائل معد فيه، واختلفوا في اسم ملك اليمن الذي في عهده وقع ، واختلفوا في زمن وقوعه ، وفي سببه ، فقالوا : إن رئيس معد فيه هو (كليب بن ربيعة) ، وقالوا : بل هو زُرارة بن عدس ، وقالوا : لا ، وإنما هو ربيعة بن الأحوص بن جعفر . ويذكر بعضهم أنه وقع بعقب يوم السّلاّن،وأنه كان لجموع ربيعة ومضر وقضاعة على مذحج وغيرهم من اليمن[3] .

وذكر جماعة من أهل الأخبار ، أن (الأحوص بن جعفر بن كلاب) ، كان على نِزار كلها يوم خزاز ، ثم ذكرت ربيعة أخيراً من الدهر أن كليباً كان على نزار . وتوسطت جماعة بين الرأيين ، فقالت : كان كليب على ربيعة ، وكان الأحوص على مضر[4] .

وسبب اختلافهم في ذلك هو دور العصبيات القبلية ، والنزعات العاطفية عند الرواة . ذكر أهل الأخبار ان جماعة من وجوه أهل البصرة ، كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاخرون ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز ، فتعصب كل قوم لرئيس من الرؤساء الذين ذكرت . وقد تحاكموا إلى (عمر بن العلاء) وكانوا في مجلسه ، فقال : ما شهدها عامر بن صعصعة ولا دارم بن مالك ، ولا جُشَم بن بكر ، اليوم أقدم من ذلك . ولقد سألت عنه ، فما وجدت أحداً من القوم يعلم من رئيسهم ومَنْ الملك[5] . وقد أنكر بعضهم أن يكون لكليب بن ربيعة دور

---

١ ابن الأثير (٢٣٨/١) ، صبح الأعشى (٣٩/١) .
٢ صبح الأعشى (٣٩١/١) .
٣ العمدة (٢١٢/٢) ، المحبر (ص ٢٤٩) ، العقد الفريد (٩٨/٦) (طبعة العريان) .
٤ البلدان (٤٣٨/٣ وما بعدها) ، العمدة (٢١٢/٢) (محمد محيي الدين عبد الحميد) .
٥ العقد الفريد (٩٧/٦ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٤٢٠/١٥) .

بارز فيه. والظاهر أن روايات الرواة عن هذا اليوم ، وهي شفوية بالطبع، كانت متضاربة تضارباً كبيراً بسبب بعد عهد ذاكرتهم عنه ، كما كانت متنافرة بسبب العواطف والنزعات القبلية ، وتعصب كل راوٍ لقبيلته . فلما جاء مدوّنو الأخبار لجمع ما في حافظة رواة القبائل عن هذا اليوم ، وجدوا اختلافاً كبيراً ، حاولوا جهد امكانهم التوفيق بينه ، واستخراج قصة موحدة عنه ، فجاؤوا بهذا الذي جاؤوا به .

وترجع رواية من روايات أخبار هذا اليوم، سبب وقوعه الى جباية أهل اليمن لقبائل معدّ . (كان الرجل منهم يأتي، ومعه كاتب وطنفسة يقعد عليها، فيأخذ من أموال نزار ما شاء ، كعمال صدقاتهم اليوم، وكان أول يوم امتنعت معد عن الملوك: ملوك حمير)[1] . فلما ضجرت نزار وبقية قبائل معد من هذه الجباية القاسية ، ومن هذا التعسف ، هاجت على اليمن ، وأعلنت عصيانها على القحطانيين ، فوقع هذا اليوم . أوقدت ناراً على خزاز ثلاث ليال ، ودخّنت ثلاثة أيام . فلما أحست مَذْحج باجتماع (معد) ، سارت على نزار ومن انضم اليها من معد ، فوقع يوم خزاز .

وجاء في رواية أخرى ، ان سبب هذا اليوم هو احتباس ملك من ملوك اليمن أسرى من مضر وربيعة وقُضاعة ، وامتناعه عن فك أسرهم ، وذلك في عهد (كليب) . فجاءه وفد من بني معد فيهم : سَدُوس بن شيبان بن ذُهْل ، وعوف بن محلّم بن ذهل بن شيبان ، وعوف بن عمرو بن جُشم بن ربيعة بن زيد مناة ، وجشم بن ذهل بن هلال . فلقبهم رجل من بهراء يسمى عبيد بن قُراد ، وكان في الأسر وكان شاعراً ، فسألهم أن يدخلوه في عدّة من يسألون. فكلموا الملك فيه وفي الأسرى ، فوهبهم لهم ، وأبقى الملك بعض أفراد الوفد رهائن حتى يأتي الباقون برؤساء قومهم ليأخذ عليهم مواثيق الطاعة . فرجع الباقي إلى قومهم وأخبروهم الخبر ، فاجتمعت ربيعة ومعد تحت راية (كليب بن ربيعة) (كليب وائل) ، فسار ومعه (السفاح التغلبي) وهو سلمة بن خالد بن كعب ابن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن تغلب ، وقد جعله (كليب) على مقدمة معد ، وأمر (كليب) أن توقد النار على خزاز، ليهتدوا

---

١ العقد الفريد (٦/٩٧ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٥/٤٢٠ وما بعدها) .

بها . فلما سمعت مذحج باجتماع ربيعة ، استعدت هي ومن يليها من قبائل اليمن للقتال ، وساروا اليهم . فلما سمع أهل تهامة بذلك انضموا الى ربيعة ، وساروا كلهم الى خزاز . فلما التقى الطرفان ، اقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت مذحج شر هزيمة فيه[1] .

وياقوت الحموي رواية أخرى في سبب وقوع هذا اليوم ، فهو يقول إن مضر وربيعة اجتمعت على أن يجعلوا منهم ملكاً يقضي بينهم، فكل أراد أن يكون منهم، ثم تراضوا أن يكون من ربيعة ملك ومن مضر ملك، ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم ، ثم اتفقوا أن يتخذوا ملكاً من اليمن ، فطلبوا ذلك الى بني آكل المرار من كندة ، فلكوا أولاد الحارث بن حجر الكندي عليهم ، ثم ما لبثوا أن ثاروا عليهم وقتلوهم ، فكان حديث يوم الكلاب . ولم يبق من ولد الحارث غير سلمة ، فجمع جموع اليمن وسار ليقتل نزاراً ، وبلغ ذلك نزاراً فاجتمع بنو عامر وبنو وائل ، وتغلب وبكر ، وبلغ الخبر كليب وائل ، فجمع ربيعة ، وقدم على مقدمته السفاح التغلبي ، فكان يوم خزاز، وقد انتصر بنو نزار فيه على القبائل اليمانية[2] . وهذه الرواية قريبة جداً من رواية (اليعقوبي) عن هذا اليوم[3] .

وقد أشار (عمرو بن كلثوم التغلبي) الى هذا اليوم ، وافتخر به ، كما افتخر بـ (كليب وائل) ، وذكر أن قومه أعانوا نزاراً في محاربتهم اليمن في ذلك اليوم[4] . وذكر بعض أهل الأخبار أنه (لولا عمرو بن كلثوم ما عُرف يوم خزاز)[5] . وذلك لذكره له في شعره .

وقد ذكر هذا اليوم عدد آخر من الشعراء منهم (زهير)[6] .

---

١ ابن الأثير الكامل (١/٢٤٣) (١/٣١٢) ، النقائض (١٠٩٣) (بيفان) ، العقد الفريد (٥/٢٤٥) ، ابن الأثير (١/٣١٠) (المنيرية) ، نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢) ، الجمحي ، الطبقات (٣١) ، العقد الفريد (٣/٣٦٤) ، أيام العرب (١٠٩) .

٢ البلدان (٣/٤٢٨ وما بعدها) ، أيام العرب (١٠٩ وما بعدها) .

٣ اليعقوبي (١/١٨٤) .

٤ شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٣٠) ابن الأثير الكامل (١/٣١٢) .

٥ البكري ، معجم ما استعجم (٢/٤٩٦) (باب حرف الخاء) العقد الفريد (٦/٩٧ وما بعدها) .

٦ شهدت الوافدين على خزاز وبالسلان جمع ذا ثواء
البكري ومعجم (٢/٤٩٦) .

والسفّاح التغلبي ، وهو سلمة بن خالد من الجرارين للجيوش ، وقد قاد قومه يوم كاظمة ، وقيل له السفّاح لأنه سفح المزاد أي صبّها في ذلك اليـوم حتى يقاتل قومه قتال المستميت ، وكان من خطباء حرب بكر وتغلب[1] .

وذهب بعض أهل الأخبار الى أن يوم خزاز هو (أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية)[2] . وهو رأي يعبر عن وجهة نظر العدنانيين بالطبع . ففي هذا اليوم انتصرت نزار ومن انضم اليها من قبائل مَذحج ومن انضاف اليها من قبائل اليمن ولم يسبق لقبائل نِزار،وهي مضر وربيعة وبقية معدّ أن تغلبت على القبائل الكبرى المنظمة المنتمية الى اليمن . فكان يوم نصرها هذا من أعظم الأيام عندها ، بعث فيها روح المقاومة والاعتماد على النفس في مقاومة القبائل القوية التي تنسب نفسهـا الى اليمن .

واذا أخذنا برأي القائلين إن يوم خزار كان عقب يوم السلاّن ، يكون هذا اليوم قد وقع أيام النعمان بن المنذر ، أي في أواخر أيام المناذرة وفي النصف الثاني من القرن السادس للميلاد ، إذ يذكر الأخباريون أن سبب وقوع يوم السلاّن هو ان بني عامر بن صعصعة كانوا قومـاً حمساً ، أي متشددين في دينهم ، لقاحاً لا يدينون للملوك . وكان من عادة النعمان بن المنذر أن يجهز كل عام لطيمـة لتباع بعكاظ ، فتعرّض لها بنو عامر ، فغضب النعمان ، وبعث عليهم وَبْرةَ الكلبي أخاه لأمه ومعه الصنائـع والوضائـع وجماعة من بني ضبة بن أد والرباب وتميم ، وانضم اليهم ضرار بن عمرو وأولاده ، وهـم فرسان شجعان ، وحبيش ابن دلف ، وطلب منهم أن يذهبوا الى عكاظ فإذا فرغوا من البيع ، وانسلخت الأشهر الحرم ، قصدوا بني عامر بنواحي السلاّن .

فلما فرغوا من عكاظ ، علمت بخطتهم قريش ، وأرسل عبـدالله بن جُدعان قاصداً أخبر بني عامر بغرض القوم ، فحذروا وتهيأوا للحرب ، وتحرزوا ووضعوا العيون ، وسلموا قيادتهم لفارس شهير معروف هو عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة . فلما التقوا تغلبوا على قوة النعمان وهزموها ، وأخـذوا وبرة أسيراً . ولم يفكوه من أسره إلا بألف بعير وفرس[3] .

---

١ الاشتقاق (ص ٢٠٣) ، المحبر (ص ٣٠٠) .
٢ البلدان (٣/٤٢٨ وما بعدها) .
٣ البلدان (٥/١٠٤) ، (يوم السلان) ، ابن الأثير ، الكامل (١/٢٦٨) .

ويدخل يوم الكلاب الثاني في عداد هذه الأيام . وقد وقع عقب يوم الصفقة، وقع بين تميم وبني سعد والرباب وبين مذحج ومن التف حولها من قبائل اليمن . فلما بلغ مذحج ما حل بتميم بالمشقر وبهجر بعد الصفقة ، وما سمعته من تخوفهم من انتقام كسرى مرة ثانية منهم ومن دوران العرب عليهم ، مشى رجال مذحج بعضهم الى بعض ، وقالوا : اغتنموا بني تميم ، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة ، ثم سألت مذحج كاهنها المأمور (الحارثي) في أمر هذا الهجوم فنهاها ، ولكنها لم تأخذ برأيه ، بل سارت طامعة في تميم ، وقد جمعت اثني عشر ألف مقاتل ، من مذحج وهمدان وكندة : وهو أعظم جيش أخرجه العرب كما يقول علماء الأخبار[1] . وكان من رجالهم يزيد بن عبد المدّان ، ويزيد ابن المخرّم ، ويزيد بن الكيشم (الكيسم) (اليكسم) بن المأمور (المأموم)، ويزيد بن هوبر . وهم كلهم حارثيون ، ومعهم عبد يغوث الحارثي ، وأقبلت بنو سعد والرباب . ورئيس الرباب النعمان بن جسّاس ورئيس سعد بن قيس بن عاصم،والتقت في أوائل الناس بجموع مذحج وهمدان وكندة ، واختلطوا واقتتلوا قتالاً شديداً انتهى في آخر النهار بمقتل (النعمان بن جساس) . وقد دفع مقتله بني تميم على الثبات والوقوف للأخذ بالثأر ، حتى تمكنت من الانتقام لنفسها ، بأن انتصرت على اليمن . فأسر (عبد يغوث بن وقاص الحارثي) ، (عبد يغوث ابن صلاّة الحارثي) سيد (بني الحارث) ، وقتل خمسة من أشراف اليمن ، وأخذت الرباب (عبد يغوث) وقتلته بقتل (النعمان بن جساس) . وهكذا انتهى هذا اليوم بفوز بني تميم . وكان رئيسها في هذا القتال : قيس بن عاصم. ويسمى الكلاب الثاني : يوم جز الدوابر[2] . ودعاه (ابن رشيق القيرواني) بـ (يوم الشعيبة)[3] .

ونعت بعض أهل الأخبار اليزيديين الأربعة المذكورين وهم قادة القوم : يزيد ابن هوبر ، ويزيد بن عبد المدّان ، ويزيد بن المأموم ، ويزيد بن المخرم ،

---

١ (فلا يعلم جيش في الجاهلية كان أكبر منه) ، العقد الفريد (٦/٧٨ وما بعدها) .
٢ النقائض (١/٤٥٢ وما بعدها) (بيفان) العقد الفريد (٦/٧٨ وما بعدها) ، البكري ، معجم ما استعجم (٤/١١٣٢) ، النقائض (٢/١٠٧٥) ، ابن الاثير الكامل (١/٣٧٩) ، العقد الفريد (٥/٢٢٥) ، نهاية الأرب (١٥/٤٠٦ وما بعدها) .
٣ العمدة (٢/٢٠٦) .

بـ (أربعة أملاك)[1] . ويدل ذلك عـلى انهم كانوا يلقبون بلقب ملك ، وأن (بني الحارث) كانوا قد نصبوهم عليهم ، وإن كان لقب (ملك) لا يتجاوز في الواقع لقب (شيخ) في عرف هذا اليوم .

وكان من أبرز رجال تميم في هذا اليوم سبعة من رؤسائهم ، هم : أكثم بن صيفي ، والأحيمر (الأعيمر) بن يزيد بن مُـرّة المازني ، وقيس بن عاصم المنقري ، وأبير بن عصمة التيمي ، والنعمان بن جساس (الحسحاس) التيمي ، وأبين بن عمرو السعدي ، والزبرقان بن بدر السعدي[2] . وبرز فيه اسم (مصاد بن ربيعة بن الحارث) و (عصمة بن أبير التيمي) وهو الذي أسر (عبد يغوث) و (قبيصة بن ضرار الضبيّ) ، وهو الذي شدّ على (ضمرة بن لبيد الحماسي الكاهن) فطعنه وخرّ صريعاً،فقال له قبيصة : ألا أنبأك تابعك بمصرعك اليوم[3] .

وأما (الكلاب الأول) ، فكان لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور،ومعه : بنو تغلب والنمر بن قاسط ، وسعد بن زيد مناة والصنائع ، على أخيه (شرحبيل ابن الحارث بن عمرو) ، ومعه بكر بن وائل بن حنظلة بن مالك ، وبنو أسد، وطوائف من بني عمرو بن تميم ، والربّاب . فقتـل (شرحبيل) ، قتله (أبو حنش عاصم بن النعمان الجشمي) ، ويقال : بل قتله (ذو الثنيّة حبيب ابن عُتبة الجشمي)[4] .

ومن هذه الأيام يوم (فيف الريح) ، وهو موضع بأعلى نجـد ، وقع بين مذحج وعامر . وسببه أن (بني عامر) كانوا يطلبون (بني الحارث بن كعب) بأوتار كثيرة ، فجمع لهم الحصين بن يزيد الحارثي ، وكان يغزو بمن تبعه من قبائل مذحج وأقبل في بني الحارث وجُعْفي ، وزبيد ، ومراد ، وقبائل سعـد العشيرة ، ومراد ، وصداء ، ونهـد ، واستعانوا بقبائل خثعم وعليهم أنس بن مدرك ، فخرج شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك ، وأقبلوا يريدون بني عامر ، وهم منتجعون (فيف الريح) ، ومـع مذحج النساء والذراري ، حتى لا يفرّوا ، إمّا ظفروا وإمّا ماتوا جميعاً . فاجتمعت بنو عـامر كلها الى

---

١ نهاية الأرب (١٥/٤٠٨) .
٢ نهاية الأرب (١٥/٤٠٧) ، أيام العرب (١٢٤) .
٣ نهاية الأرب (١٥/٤١٠) .
٤ العمدة (٢/٢٠٦) (ط. محمد محيي الدين عبد الحميد) .

عامر بن الطفيل (عـامر بن مالك ملاعب الأسنة) ، والتقى الجمعان في قتال لم يعط نصراً بيناً لأحد الطرفين ، إذ وقع القتل في الفريقين ، ولم يستقلّ بعضهم عن بعض غنيمة ، وكان الصبر والشرف لبني عامر . وممن قتل أو جرح فيه : الصُمَيل بن الأعور الكلابي ، وحسيل بن عمرو الكلابي ، وخليف بن عبد العزى النهدي ، وكعب الفوارس بن معاوية بن عبادة بن البكاء ، وعامر بن الطفيل[1] .

ومن أيام القحطانيين مع العدنانيين (يوم ظهر الدهناء) . كان أوس بن حارثة بن لأم سيداً في قومه طيء ، مطاعاً فيهم ، جواداً معروفاً . حباه النعمان ابن المنذر حلة على العادة المتبعة عند ملوك الحيرة في تكريم الرؤساء الذين يفدون عليهم ، وفضله على غيره ، بأن طلبه وكان غائباً دون قوم من السادة الأشراف، فاغتاظ حساده من ذلك وأوعزوا الى بعض الشعراء بهجائه،فهجاه بشر بن أبي خازم وهو من بني أسد ، وأسرف في هجائه ، فاغتاظ أوس من ذلك ، وجمع قومه من طيء ، وأوقع ببني أسد بظهر الدهناء ، وقتل منهم قتلاً ذريعاً ، فانهزمت منه ، وهرب بشر ، فجعل لا يأتي حياً يطلب جوارهم إلا امتنع من إجارته على أوس الى ان التجأ الى أم أوس ، فأجارته ، وأجاره أوس عندئذ ، وعفا عنه ، ومنّ عليه وأعطاه وحباه ، فانقلب مادحاً له[2] .

والأيام التي ذكرها الأخباريون عن حروب العدنانيين مع ملوك اليمن للحصول على استقلالهم ، قليلة . ولا يعني حكم اليمن للعدنانيين أن تبابعة اليمن كانوا يحكمون تلك القبائل حكماً مباشراً ، وانما هو في الواقع وكما يظهر من غربلة هذه الروايات حكم كان يتسع وينقلص تبعاً لقدرة الحكام وشخصياتهم، ولاتفاقاتهم مع سادات تلك القبائل،ولأن القبائل العدنانية هي قبائل بدوية في الغالب لا تستقر على حال ، ومن طبع البداوة التنازع والتخاصم . ثم إن سادات القبائل كانوا كما هو شأنهم في كل وقت متنافسين متخاصمين ، لذلك وجد ملوك اليمن، وهم ملوك

---

١ الميداني (٢/٣٠٨) ، الأغاني (٥/٢١) ، البلدان (٦/٤١٣) ، النقائض (٤٦٩)، العقد الفريد (٣/٣٥٩) ، ذيل الأمالي (١٤٦) ، أيام العرب (١٣٢) ، نهاية الأرب (١٥/٤١٤ العمدة (٢/٤١٣) .

٢ راجع ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠ ابن الأثير الكامل (١/٢٦٢) ، بلوغ الأرب (١/٨٤) ، ابن الاثير (١/٣٨٢) ، الشعر والشعراء (٨٦) ، أيام العرب (١٣٧ وما بعدها) .

شعب أكثريته مستقرة ، من السهل عليهم التدخل في شؤون تلك القبائل بتأييد هذا الرئيس على منافسه ، وبتعيين رئيس من رؤساء القبائل الكبيرة على قبيلة أو جملة قبائل أخرى ضعيفة أو متخاصمة ، لتهيئة الحال واقرار الأمن . فصار من العادة بين القبائل العدنانية ، بل بين القبائل القحطانية كذلك ، أو بين كبار سادات القبائل ، أن يلجأوا الى التابعة للتدخل في الخصومات واقرار الأمن بالحكم بين المتخاصمين ، أو بتعيين رجل محترم كبير من اليمن أو من غير اليمن عليهم. ونجد بين روايات الأخباريين روايات تؤيد هذا الرأي .

ويدخل الأخباريون في أيام العدنانيين مع القحطانيين الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية وبين ملوك الحيرة لاعتدادهم من قحطان . وكذلك يدخل أهل الأخبار في أيام القحطانية مع العدنانية الأيام التي وقعت بين ملوك بني سليح والغساسنة من بعدهم وبين القبائل العدنانية ، والأيام التي وقعت بين كندة وبين القبائل العدنانية .

واذ أسلفت الكلام على ايام تلك الحكومات مع القبائل العدنانية في المواضع المناسبة ، فإني أكتفي بالاشارة اليها ، على أمل الرجوع الى تلك الأماكن لمن يريد الوقوف عليها .

أما أشهر أيام القحطانيين ، فالأيام التي وقعت بين المناذرة والغساسنة ، والأيام التي وقعت بين هؤلاء الملوك وملوك كندة وأمرائها ، ثم الأيام التي وقعت بين القبائل المنتسبة الى اليمن ، مثل الأيام التي وقعت بين الأوس والخزرج ، والأيام التي وقعت بين قبائل طيء ، وأمثال ذلك . ولمّا كنت قد تحدثت عن معظم هذه الأيام ، فسأكتفي بما تحدثت عنها ، وأتحدث عن النابه من بقية الأيام فقط مما لم أتحدث عنه سابقاً .

وتؤلف الأيام التي وقعت بين القبائل العدنانية الجزء الأكبر من أيام العرب ، وهي أهمها وأغناها بالشعر والأمثال والقصص . وكان لتميم وبكر وتغلب أثر خطير فيها . وأشهر هذه الحروب ، الحرب المسماة بحرب البسوس ، وقعت بين بكر وتغلب ودامت أربعين عاماً على ما يذكره الأخباريون .

وتغلب وبكر هما من قبائل ربيعة ، لذلك تكون حرب البسوس من الحروب التي وقعت بين قبائل ربيعة ، لأن أيام العدنانيين هي أيام وقعت بين قبائل ربيعة وحدها ، وأيام وقعت بين قبائل من ربيعة وقبائل من مضر ، وأيام وقعت بين

قبائل مضر[1] .

وذكر بعض أهل الأخبار أن أشهر أيام بكر وتغلب ، خمسة أيام مشاهير . أولها يوم عنيزة وتكافأوا فيه ، والثاني يوم واردات ، وكان لتغلب على بكر . والثالث يوم الحنو ، وكان لبكر على تغلب . والرابع يوم القصيبات ، وكان لتغلب على بكر . والخامس يوم قِضة ، وهو آخر أيامهم ، وكان لبكر . وفيه أسر مهلهل بن ربيعة[2] .

وتولد من هذه الحرب قصص وشعر ، نسب الى أبطال الأيام التي وقعت فيها ، وأمثلة ذُكر انها قيلت في المناسبات ، صارت على العادة أمثلة شائعة بين الناس[3] .

وليست حرب البسوس في الواقع حرباً واحدة ، انما هي حروب عدة وقعت في تلك المدة المذكورة وفي أوقات متقطعة الى أن انقطعت بوساطة المنذر بن ماء السماء وتدخله بين الفريقين .

والذي أثار نيران هذه الحرب هو جسّاس بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو (جليلة) امرأة كليب بن ربيعة سيد قبيلة تغلب ، وذلك بقتله كليباً،لأنه أدمى ضرع ناقة للبسوس خالة جساس ، إذ كانت ترعى في أرض حماها كليب ومنع الرعي فيها إلا لإبله . وقد أثار عمل كليب هذا غضب جساس ، فقتله ، وثارت بذلك الحرب بين تغلب وبكر قوم جساس .

وكليب بن ربيعة ، أو (كليب وائل) كما يعرف عند بعض أهل الأخبار، هو وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو

---

١ المعارف (٦٠٥ وما بعدها) ، المختصر في أخبار البشر ، لابي الفداء (٩٥/١ وما بعدها) ، الشعر والشعراء (٩٩ وما بعدها) ، العقد الفريد (٢١٣/٥ وما بعدها) ، سبائك الذهب (١٠٥) ، مقامات الحريري (٢٦٠) ، الاغاني (١٣٩/٤ وما بعدها) ، فرائد اللال في مجمع الامثال ، لابراهيم بن السيد علي الإحدب الطرابلسي ، (٣١٩/١ وما بعدها) ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت) ، صبح الاعشى (٣٩١/١ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٣١٢/١) ، نهاية الارب (٣٩٦/١٥) .

٢ الشعر والشعراء (١٦٦) .

٣ الاغاني (١٤٠/٤ وما بعدها) ، أبو تمام ، الحماسة (٤٢٠ وما بعدها) ، مجمع الامثال (٣٤٢/١) ، النقائض (٧٧٣) ، شيخو : شعراء النصرانية (١٥١ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٧٠) ، نهاية الارب (٣٩٦/١٥ وما بعدها) ، ابن الاثير (٢٤١/١ وما بعدها) . ENCY. I, p. 674.

ابن غنم بن تغلب[1] . رجل صلب قويّ ، تمكن بمواهبه وبقدرته من السيطرة على قبائل ليست السيطرة عليها بأمر سهل يسير ، ومن إقامة نفسه ملكاً عليها ، ومن أخذ الإتاوة من القبائل ، ومن الانتصار على قبائل اليمن في يوم خزاز . وبقي على ذلك دهراً ، حتى داخله زهو شديد ، فأخذ يبغي على القبائل ويشتط في أخذ الإتاوة منها وفي اتخاذ خيرة الأرضين المخصبة أحماء لا يجوز لإبل غيره الرعي فيها ، ولا الاستيلاء على مواضع الماء ، حتى ضجرت الناس منه ، فكانت نتيجته ما تقدم[2] .

وأخذ المهلهل (واسمه عدي بن ربيعة) ، وهو أخو كليب على نفسه عهداً بأن يترك النساء ، والغزل ، والقمار ، والشراب ، حتى يثأر بقتل أخيه ، وجمع قومه ، ووقعت حروب . ومهلهل هذا هو أول من هلهل الشعر ، أي أرقه على حد رواية أهل الأخبار[3] .

وقد أقام أصحاب (كليب) قبة رفيعة على قبره ، تكريماً له[4] . شأن الجاهليين في ذلك الزمن من إقامة القباب على قبور الكبار .

وفي جملة الأيام التي يدخلها أهل الأخبار في حرب البسوس : يوم النهي ، ويوم الذنائب ، ويوم واردات ، ويوم عنيزة ، ويوم القصيبات ، ويوم تحلاق اللمم[5] .

وكما كان كليب سيد تغلب ، كذلك كان زهير بن جذيمة العبسي سيد قيس عَيْلان . وقيس عيلان قبائل كبرى عديدة ، كان لها شأن بين القبائل وخطر ، ترأس غطفان ، وقادها كلها وساد على عبس وذبيان ، ولمكانته هذه ولسؤدده تزوج اليه النعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة ، فتوسع بذلك نفوذه وعظمت منزلته عند القبائل ، ولا سيما القبائل المتصلة به والقبائل الخاضعة للملوك الحيرة .

---

١ للاخباريين أقوال في سبب تسميته بكليب ، راجع عن ذلك : الكامل ، لابن الاثير (١/٢١٤) ، الاشتقاق (ص ٢٠٤) .

٢ ابن الاثير (١/٢١٤ وما بعدها) ، العقد الفريد (راجع فصل أيام العرب) ، النقائض (٩٠٥ وما بعدها) ، الميداني (١/٢٥٤) ، خزانة الادب (١/٣٠١ وما بعدها) .

٣ نهاية الارب (١٥/٣٩٨ وما بعدها) .

٤ أيام العرب (١٦٥) .

٥ ابن الاثير (١/١٨٣) ، العقد الفريد (٣/٣٤٨) ، البلدان (١/١٣٩) ، الاغاني (٥/٣٢) ، مجمع الامثال (١/٣٤٢) ، خزانة الادب (١/٤٢٥) ، أيام العرب (١٤٢) .

واتفق ان أحد أولاد زهير – واسمه شأس – كان عائداً من زيارته للنعمان ومعه هدايا ثمينة وألطاف فاخرة حباه بها النعمان ، فطمع به رجل من غنيّ اسمه (رياح بن الأسلك الغنوي) وقتله بموضع منعج . فلما علم بذلك أبوه ، أخذ يقتل كل من وقعت عليه يده من غنيّ . وغزت بنو عبس غنيّاً ومعها الحصين بن زهير أخو شأس ، فطلبت غنيّ من رياح ترك أرضها والارتحال عنها ، وصار هذا القتل سبباً لإثارة البغضاء بين عبس وغنيّ لما أوقعه زهير بغنيّ من القتل[1] .

ويوم منعج ويسمى أيضاً بـ (يوم الردهة)[2] ، من الأيام التي وقعت بين قبائل قيس . ومن هذه الأيام : يوم النفراوات (النفرات) ، ويوم بطن عاقل وداحس والغبراء ، والرقم ، والنتاءة ، وحوزة الأول ، وحوزة الثاني ، واللوى[3] .

وكان زهير يأخذ الإتاوة من هوازن كرهاً، تدفعها اليه كل عام بسوق عُكاظ وهي مكرهة . وكانت هوازن تعترف بسيادته عليها وتعتبره رباً ، وهي يومئذ لا خير فيها ، وإنما هي رعاة الشاء في الجبال . فإذا كانت أيام عكاظ أتاها زهير ، ويأتيها الناس من كل وجه ، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي عليهم ، فيأتونه بالسمن والأقط والغنم ، ثم اذا تفرق الناس نزل بالنفراوات . فلما كان الدفع ، ذهب زهير على عادته لأخذ الإتاوة ، انتهز (خالد بن جعفر بن كلاب) هذه الفرصة ، فذهب الى هوازن ، وحرضها على زهير . فلما بلغ زهير أطراف بلاد هوازن ، باغته خالد بن جعفر ومعه جمع من هوازن ، فقتل زهير ، ورجع به أبناؤه الى بلادهم ليدفنوه . وقد عرف اليوم الذي قتل فيه زهير بيوم النفراوات[4] .

وعزمت غطفان على الأخذ بثأر زهير من خالد ، فخاف خالد على نفسه منها، وفرّ الى الحيرة ليستجير بالنعمان في رواية، أو بالأسود بن المنذر في رواية أخرى . عندئذ تعهد الحارث بن ظالم المريّ . وهو فاتك معروف ، لبني زهير بقتل خالد اذا كفت غطفان عن هوازن . وقد برّ بوعده ، إذ اغتاله وهو في قبة كان

---

١ الاغاني (٨/١٠) ، مجمع الامثال (٢٦٨/٢) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٣٧/١) ، نهاية الارب (٣٤٤/١٥ وما بعدها) .
٢ نهاية الارب (٣٤٤/١٥ وما بعدها) .
٣ أيام العرب (٢٢٩) .
٤ « النفرات » « النفراوات » ، نهاية الارب (٣٤٦/١٥) ، الاغاني (٨٤/١١ وما بعدها) ، (دار الكتب المصرية) ، العقد الفريد (٥/٦ وما بعدها) .

النعمان قد أمر بنصبها له . وذلك ببطن عاقل ، فعرف اليوم به[1] . فلما علم بذلك النعمان ، أمر بطليه ليقتله بجاره ، وأخذت هوازن تطالب به لتقتله بسيدها خالد . ففرّ الحارث الى بني دارم من تميم ، واستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن ، فأجاره ضمرة على النعمان وهوازن ، فكان ذلك سبباً لتجهيز النعمان جيشاً على بني دارم انتقاماً منها لتجاسرها على ايواء من يطلب قتله .

وورد في رواية أخرى أن لجوء (الحارث بن ظالم) كان الى (معبد بن زرارة) ، وأن بني تميم استاءت من لجوئه إليه ، لأنه أوى هذا المشؤوم الأنكد ، وأغرى بهم الأسود ملك الحيرة ، وخذلوه غير بني ماوية وبني عبدالله بن دارم[2].

وجاء في خبر أن (الحارث بن ظالم) كان عند (حاجب بن زرارة بن عدس بن عبدالله بن دارم) . وقد وعده النصرة والمنعة . وبلغ الأحوص بن جعفر الكلابي أخو خالد بن جعفر ، مكان الحارث بن ظالم ، فسار على تميم ، حتى أدركها بـ (حرحان) ، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ، وانهزمت بنو تميم ، وأسر معبد بن زرارة ، أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب . فوفد لقيط بن زرارة في فدائه ، وعرض عليهما مئتي بعير في فدائه ، فامتنعا قائلين : أنت سيّد الناس ، وأخوك معبد سيد مضر ، فلا تقبل فيه إلا دية ملك . فأبى أن يزيدهم ، ورحل لقيط عن القوم ومنع بنو عامر معبداً عن الماء وضارّوه حتى مات هزالاً . وورد في رواية انه أبى أن يطعم شيئاً أو يشرب حتى مات هزالاً[3].

وأمر النعمان جيشه بالتوجه الى بني دارم ، وانضم اليه الأحوص بن جعفر أخو خالد ، ومعه جمع بني عامر ، للإنتقام من الحارث قاتل خالد . فعلمت بنو دارم بمجيء الجيش ، واستعدوا للقتال ، فلما التقى الجمعان ، قتلت بنو مالك ابن حنظلة (ابن الخمس التغلبي) رئيس جيش النعمان ، وصبرت بنو دارم ، وأقبل قيس بن زهير فيمن معه ، فانهزمت بنو عامر ، وانهزم جيش النعمان ، وعادوا الى ديارهم ، وكان رئيس بني دارم زرارة بن عدس سيّد ببني تميم .

---

١ نهاية الارب (١٥/٣٤٨) .
٢ نهاية الارب (١٥/٣٤٩) .
٣ العقد الفريد (٣/٣٦٠) ، الاغاني (١٠/٣٠) ، ابن الاثير (١/٣٤١) ، النقائض (١/٢١٤) ، نهاية الارب (١٥/٣٤٩) وما بعدها .

وهناك روايات أخرى عن هذا الحادث وعن الحارث ذكرتها في الفصول السابقة[1].

وصارت الرئاسة الى قيس بعد مقتل والده (زهير بن جذيمة العبسيّ) ، ويصفه الأخباريون بجودة الرأي وبحسن التجارب، ويقولون إنه لذلك عرف بـ (قيس الرأي) ، ويذكرون له في ذلك أقوالاً وحكماً ونصائح ، ويروون طائفة من ذلك ، ولا سيما مما قاله في مناسبات حرب داحس والغبراء .

ويذكر أهل الأخبار أن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي ، كان قد سار الى المدينة ليتجهز لقتال عامر ، والأخذ بثأر أبيه ، فأتى (أحيحة بن الجُلاح) ليشتري منه درعاً موضونة ، فقال له : لا أبيعها ، ولولا أن تذمني بنو عامر لوهبتها منك ، ولكن خذها بابن لبون . ففعل ذلك ، وأخذ الدرع ، ووهبه أحيحة أدراعاً ، وعاد قيس الى قومه ، فاجتاز بالربيع بن زياد العبسي ، فدعاه الى مساعدته على الأخذ بثأره ، فأجابه الى ذلك . فلما أراد فراقه، نظر الى عيبته فقال : ما في حقيبتك ؟ قال : متاع عجيب،لو أبصرته لراعك،وأناخ راحلته ، وأخرج الدرع ، فأخذها ومنعها من قيس ، ولم يعطه اياها ، وترددت الرسل بينهما . فلما طالت الأيام على ذلك ، سيّر قيس أهله الى مكة ، فأغار قيس على نعم الربيع ، واستاق منها أربع مئة بعير ، وسار بها الى مكة وباعها من عبدالله ابن جدعان واشترى بها خيلاً ، وتبعه الربيع فلم يلحقه ، فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء[2] .

وقد اقترن اسم قيس بهذه الحرب الشهيرة التي يتناقل الناس قصصها الطريفة حتى اليوم ، وهي حرب ثارت بين عبس وذبيان بسبب اختلاف على سباق خيل كان قد تراهن عليه حذيفة بن بدر بن فزارة سيد ذبيان وقيس بن زهير ، اشتركت فيه خيار خيل قيس وحذيفة وفي مقدمتها داحس والغبراء والخطار والحنفاء . وقد ادعى كل واحد من المتنافسين أن فرسه كان السابق ، وانه هو الكاسب للرهان في قصص طويل يتخلله شعر وكلام وجواب . وانتهى النزاع الى ما ينتهي اليه

---

١ ابن الاثير (١/٢٢٩ وما بعدها) ، الاغاني (٨/١٠) ، مجمع الامثال (٢/٢٦٨) ، العقد الفريد (٦/٧ وما بعدها) .

٢ ابن الاثير ، الكامل (١/٣٤٣ وما بعدها) .

كل نزاع من هذا القبيل ، وهي الحرب[1] .

وهي حرب استمرت سنين ، قتل فيها حذيفة بن بدر وعدة رؤساء،واشتركت فيها شيبان وضبّة وأسد وغطفان وقبائل أخرى ، كما ساهم فيها ملك هجـر ، وامتدت الى أن اتصلت بالاسلام . وللشاعر زهير بن أبـي سلمى ذكر فيها . ولم تنته إلا بتوسط الرؤساء حيث سوّيت بدفـع الديات ، وبإنهاء تلك الحرب التي شغلت تلك القبائل وأقلقت الأمن لذلك السبب التافه على زعم قول الرواة[2] .

وفي جملة حروب داحس والغبراء ، يوم العـذق ، وهو ماء ، انهزمت فيه فزارة ، وقُتلوا قتلاً ذريعاً ، وأسر حذيفة ، فاجتمعت غطفان وسعت للصلح . فاصطلحوا على أن يهدر دم بدر بن حذيفة بدم مالك أخي قيس ، وتساووا فيما بقي ، فأطلق حذيفة من أسره .

ثم وقعت حرب أخرى ، مثل يوم (البوار) ، وكان الفوز فيه لعبس على فزارة وأسد وغطفان ، ويوم الهباءة ، ويوم الجراجر ، الى غير ذلك من أيام[3] .

ولامتداد هـذه الحرب سنين عديدة ، وانتشارها خارج نطاق حدود قبيلتي عبس وذبيـان ، شملت أرضين واسعة ، وتخللتها جملة أيام لها أسماؤها . وهي بالطبع كلها من أيام هذه الحرب : حرب داحس والغبراء.

وإذا قرأت قصة داحس والغبراء ، قرأت قصص شجاعة بطل مغـوار أظهر

---

١ الاغاني (٨٦/١١ وما بعدها) (دار الكتب) (٢٤/١٦ وما بعدها) (١٢٣/١٧) (دار الثقافة ، بيروت) ، العقد الفريد (١٥١/٥) ، البلدان (٢٠٥/١) (بيروت)، البكري معجم (١٣٩٦/٣) ، المعارف (٦٠٦) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٤٣/١) (الطباعة المنيرية) ، الاغاني (١٢٣/١٧) (دار الثقافة بيروت) ، المختصر في أخبار البشر ، لابي الفداء (٩٧/١) (دار الكتاب اللبناني) ، البداية والنهاية ، لابن كثير ، (١٥٥/٣) ابن خلدون المجلد الثاني (٦٣٢) ، العقد الفريد (١٥٠/٥) (لجنة التأليف) ، اللسان (٧٧/٦) (بيروت ١٩٥٦ م) ، نهاية الارب (٣٥٦/١٥ وما بعدها) .

٢ ديوان عنترة بن شداد (ص ١٥١) ، التبريزي ، شرح ديوان الحماسة (٢٩٧/١) ، المعلقات السبع ، للزوزني (٨٩) ، الامثال (٥١/٢) ، العقد الفريد (٣١٣/٣) ، ابن هشام (١٨٢/١) ، ابن الاثير (٣٤٣/١ وما بعدها) (الطباعة المنيريـة) ، نهاية الارب (٣٥٦/١٥) ، شرح ديوان عنترة (٨٣ وما بعدها) (عبد المنعـم) شرح القصائد العشر ، للتبريزي (٢١٣) (مطبعة السعادة ١٩٦٤) ، ديوان زهير ابن أبي سلمى ، نهاية الارب (٣٥٦/١٥ وما بعدها ، الاغاني (٨٦/١١ وما بعدها) النقائض (٢٩٩/١) .

٣ ابن الاثير (٢٥٨/١ وما بعدها) .

شجاعة فائقة في هذه الحرب ، وكان له فيها شعر ، هو عنترة بن شدّاد العبسي . وقصص شجاعة عنترة معروفة حتى اليوم،مشهورة ، يسمعها الناس بشوق ورغبة ، وهي عندهم أشهر من قصص داحس والغبراء : هذه الحرب التي خلد اسمها هذا الشعر وأمثاله .

وفي يوم الرقم ، غزت بنو عامر غطفان وعليهم عامر بن الطفيل شاباً لم يرأس بعد ، فخرجت اليهم بنو مُرّة بن عوف ، وأشجع ، وناس من فزارة،وكلهم من غطفان ، فقاتلوا بني عامر ، وتغلبوا عليهم . وفرّ عامر بن الطفيل، وشنق الحكم بن الطفيل نفسه ، ليتخلص بذلك من الأسر . ويروي الأخباريون لعروة ابن الورد وللنابغة الذبياني ولعامر بن الطفيل شعراً ذكروا أنهم قالوه في هذا اليوم[1] .

وقد منيت بنو عامر بهزيمة أخرى يوم النتاءة ، وكانت قد خرجت الى غطفان تريد الأخذ بثأرها من هزيمة يوم الرقم ، فأغارت على نعم بني عبس وذبيان وأشجع فأخذوها ، فتعقبتها عبس وأشجع وفزارة حينما عادوا بالغنائم ، والتحموا بها ، وأوقعوا بها هزيمة كبيرة ، وقتلت كثيراً منهم ، ونجا عامر بن الطفيل بفرسه المشهور المسمى الورد[2] .

وقد منيت بنو عامر بهزيمة أخرى يوم شواحط الذي وقع بين بني عامر وبني محارب بن خصفة ، وذلك حينما أغارت جماعة من بني عامر على بلاد غسان[3] .

ويعدّ عامر بن الطفيل من فرسان العرب المشاهير . وهو من المعاصرين للرسول، وقد تعرّض لنفر من أصحاب رسول الله كان الرسول قد أرسلهم بناءً على رغبة (أبي براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب) ملاعب الأسنة . وكان سيد بني عامر بن صعصعة،وذلك ليعلّموا أهل نجد الاسلام ويفقهوهم في الدين . وقد تعهد للرسول بأن يحميهم ، وأن يكونوا في جواره . فلما بلغ النفر (بئر معونة)

---

١ خزانة الادب (٣/٧٠) ، المفضليات (ص ٣٠) ، العقد الفريد (٦/٢٥) ، (يوم الرقم) ، سبائك الذهب (١١٧) ، نهاية الارب (١٥/٣٦٤) .

٢ ابن الاثير (١/٣٩٥) ، الاغاني (١٠/٣١٣) ، العقد الفريد (٦/٢٦) ، نهاية الارب (١٥/٣٦٤) .

٣ العقد الفريد (٦/٢٧) ، نهاية الارب (١٥/٣٦٥) .

عدا عليهم (عامر بن الطفيل) فقتلهم ، واستاء من ذلك أبو براء[1] .

ووقعت بين سُلَيم وغطفان حـرب بسبب مقتل معاوية بن عمرو بن الشريد السُلمي ، يوم حَوْزة الأول . وكان سبب هذا اليوم تأثر معاوية من كلام امرأة من بني مُرّة كانت جميلة وسيمة دعاها لنفسه ، وقد رآها بعكاظ ، فامتنعت ، فغزا لذلك بني مُرة . فلما علمت بنو مرة بقدومه عليهم ، تجهزوا له وقتلوه[2] . فقرر صخر بن عمرو الشريد السُلمي الانتقام من قتلة أخيه ، فأغار على بني مرة في يوم حوزة الثاني ، وقتل دريد بن حرملة أخا هاشم بن حرملة رئيس بني مرة. ثم قتل رجل من بني جشم هو عمرو بن قيس الجشمي هاشم بن حرملة، فاستراحت بذلك بنو سُليم ، وسرّت الخنساء بمقتل هاشم ، ولها شعر كثير في رثاء أخويها معاوية وصخر[3] .

وقد توفي صخر على أثر إصابته بجرح ظل يفتك به مدة طويلة ، أصيب به في غزوة غزا بها بني أسد بن خزيمة . فتعقبته بنو أسد لتخلص إبلها منه ، وكان قد اكتسحها منهم في هذا الغزو ، فلما كان في موضع ذات الأثـل ، لحقت به وجرحته فقضى هذا الجرح عليه[4] .

ومن أيام هوازن وغطفان يوم اللّوى ، وقد قتل فيه عبدالله بن الصمة أخو دريد بن الصمة . وكان عبدالله قد غزا مع بني جشم وبني نصر أبناء معاوية بن بكر بن هوازن غطفان ، فظفر بهم وساق أموالهم . وبينما كان عائداً بغنائمه ، فاجأته عبس وفزارة وأشجع في موضع اللّوى ، فقتلوه واستعادوا ما كان قد غنمه منهم ، وجرح دريد أخوه . فلما شفي دريد من جرحه ، أغار على غطفان لينتقم منها لمقتل أخيه ، وقتل رجالاً منهم ، واستاق جملـة أسرى . وقد عرف هذا اليوم بيوم الغدير[5] .

---

١ الطبري (٢/٢٤٥ وما بعدها) ، (خبر بئر معونة) ، المحبر (٢٣٤ ، ٤٧٢) ، الاشتقاق (١٨٠ ، ٢١٥) .

٢ العقد الفريد (٦/٢٨) ، الاغاني (٢/٣٢٩) ، (١٠/٢٨) ، (١٣/١٣٤) ، شرح الحماسة للتبريزي (٣/١١٠) ، نهاية الارب (١٥/٣٦٥) .

٣ العقد الفريد (٦/٢٩ وما بعدها) ، الاغاني (١٣/١٤٠) ، المبرد (٢/٢٨١) ، نهاية الارب (١٥/٣٦٧) .

٤ العقد الفريد (٦/٣١) ، نهاية الارب (١٥/٣٦٨) .

٥ الاغاني (١٠/٦) ، شرح التبريزي على الحماسه (ص ٣٠٥) ، جمهرة أشعـار العرب (ص ٢٢٦) . العقد الفريد (٦/٣٢ وما بعدها) ، نهاية الارب (١٥/٣٦٩) .

ويذكر أهل الأخبار أنه قـد كان بين (دريد بن الصمة) و (ربيعة بن مكدم) يوم ، عرف بـ (يوم الظَّعينة) . وكان دريد قد خرج في فوارس من (بني جُشَم) حتى إذا كان في وادٍ يقال له : (الأحزم) وهم يريدون الغارة على بني كنانة،رفع له رجل في ناحية الوادي ومعه ظعينة ، فأرسل فرساناً من فرسانه ليأتوا اليه بخبره ، فلم يعودوا ، فذهب (دريد) بنفسه اليه ليراه ، فأخذ الرجل منـه رمحه وخلّى ، ثم انصرف دريد الى أصحابـه ، ثم لم تلبث (بنو كنانة) أن أغارت على بني جُشَم ، فقتلوا وأسروا (دريد بن الصمة)، وكان الرجل الذي أخذ رمح دريد يوم الظعينة ، هو (ربيعة بن مكدم) ، فلما سأل (دريد) وهو في الأسر عنه ، قيل له : (قتلته بنو سليم) ، ثم أطلق ، وجهز ، ولحق بقومه . فلم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك[1] .

ولدريد يوم مع غطفان عرف بـ (يوم الصلعاء) . وقد انتصرت فيه هوازن على غطفان ، وقتل فيه دريدٌ ذؤاب بن زيد بن قارب[2] .

ودريد بن الصِّمة من الفرسان المعروفين كذلك ، وقد ترأس قومه في عـدة غزوات . ويعده الأخباريون في جملة البرص الأشراف،وهو ممن أدرك الإسلام[3] .

و (ربيعة بن مكدّم) فارس مشهور ، وهو فارس بني كنانة ، وبنو كنانة من أنجد العرب ، عرفوا بالشجاعة حتى قيل إن الرجل منهم يعـدل بعشرة من غيرهم . وصادف أن قتلت (بنو فراس) رجلين من بني سُلَيْم،فحقدت بنو سليم عليهم . فلما كان ظعن من بني كنانة بـ (الكديد) ، وفيهم ربيعة بن مكدّم، تلقاهم قوم من (بني سُليم) ، فاقتتلوا معهم ، وقتل ربيعة في ذلك اليوم . ولما دفن عقر على قبره . وكان (يعقر على قبره في الجاهلية ، ولم يعقر على قـبر أحد غيره)[4] .

ولما قتلت بنو سليم (ربيعة بن مكدّم) ، غزا (مالك بن خالد بن صخر ابن الشريد) سيد (بني سُليم) (بني كنانة) . وكان بنو سُليم قـد توّجوا

---

١ نهاية الارب (١٥/٣٧٠ وما بعدها) .
٢ نهاية الارب (١٥/٣٧٣) .
٣ المحبر (٢٩٨ وما بعدها) ، الاشتقاق (١٧٧ وما بعدها) .
٤ الكديد ، بفتح أوله وكسر ثانيه بعده دال مهملة ، موضع بين مكه والمدينة ، وهو ماء عين جارية عليها نخل كثير ، نهاية الارب (١٥/٣٧٣) ، الاغاني (١٤/١٢٩) ، الامالي (٢/٢٧١) ، العقد الفريد (٣/٣٢٤) .

مالكاً وأمروه عليهم ، حتى عرف بـ (ذي التاج) . فأغار (ذو التاج) على (بني فراس) وهم من (بني كنانة) بـ (بزرة) . وكان رئيس بني فراس (عبدالله بن جدْل) ، فدعا (عبدالله) (ذا التاج) إلى البراز ، فشدّ عليه وقتله[1] . وعرف هذا اليوم بـ (يوم فزارة) وبـ (يوم بزرة)[2] .

ثم إن بني الشريد حرّموا عـلى أنفسهم النساء والدهن أو يدركوا ثأرهم من كنانة فأغار (عمرو بن خالد بن صخر بن الشريد) بقومه على بني فراس ، فقتل منهم نفراً ، وسبى سبياً فيهم ابنة مكدّم أخت ربيعة بن مكدّم[3] .

وتميم من القبائل التي يرد اسمها في الأيام . ومن هذه الأيام عدة أيام وقعت بينها وبين قبائل ربيعة وأيام أخرى وقعت بينها وبين قيس . ومن أيامها مع قبائل ربيعة : يوم الوقيط ويوم ثَيتل (نَبتل) ، ويوم جدود ، ويوم زرود ، ويوم ذي طلوح ، ويوم الغبيط ، ويوم قشاوة ، ويوم زبالة ، ويوم مبايض ، ويوم الزورين ، ويوم عاقل .

أما يوم الوقيط،فكان بين اللهازم من ربيعة وبين تميم[4] . وأما (ثيتل)[5] (نبتل)[6] فيذكر مع يوم النباج أيضاً ، وهما يومان متقاربان وقعـا في موضعين متقاربين . وقد وقعا بسبب خروج قيس بن عاصم المنقري رئيس مقاعس بجماعته ومعه سلامة ابن ظرب رئيس الأجارب لغزو بكر بن وائل . فلما وصلا الى النباج وثيتل ، وجدا اللهازم وبني ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعنزة بن أسد بهذين الموضعين، فأغار قيس على أهل النباج واقتتل معهم ، فانهزمت بكر. فعاد قيس بغنائم عديدة فوجد سلامة ، وهو في موضعه لم يغر بعد على من بثيتل من ناس ، فأغار قيس

---

١ نهاية الارب (١٥/٣٧٤) .
٢ « بزرة » ، نهاية الارب (١٥/٣٧٤) ، « بزرة » « بزر » ، العقد الفريد (٣/٣٢٦)، أيام العرب (٣١٩) .
٣ نهاية الارب (١٥/٣٧٥) .
٤ العقد الفريد (٦/٤٤) (٥/١٨٢ وما بعدها) (لجنة) ، (٣/٣٣٠) ، النقائض (ص ٣٠٥) ، نهاية الارب (١٥/٣٧٩ وما بعدها) ، (دار الكتب) ، أيام العرب (١٧٢) ، ابن الاثير ، الكامل (١/٣٨٥) ، الامالي (١/٦) ، العمدة (٢/٢٥١)، مراصد (١/٢٩٥) .
٥ البلدان (٣/٣٠) (مادة ثيتل) ، ابن الاثير (١/٣٩٧) .
٦ (نبتل) هكذا في طبعة (العريان) للعقد الفريد (٦/٤٧) ، وصوابه (ثيتل) . وأما (نبتل) ، فموضع اخر لا علاقة له بهذا المكان .

عليهم ، وسلّم ما غنمه الى سلامة [1] .

ووقع يوم جدود بسبب عزم الحارث بن شريك على غزو بني سليط بن يربوع. جمع الحارث بني شيبان وذهلاً واللهازم ثم سار بهم إلى أرض بني يربوع راجياً مباغتتهم . ولكنه ما كاد يصل الى بلادهم حتى شعروا به ، وهاجوا عليه . فلم يتمكن من غزوهم ، فتركهم وذهب نحو بني رُبَيْع بن الحارث بجدود ، فأغار عليهم ، وأصاب سبياً ونعماً . فبعث بنو ربيع صريخاً الى بني كليب بن يربوع يطلب العون ، فلم يجيبوهم ، فذهب الصريخ الى بني منقر بن عبيد ، فركبوا في الطلب ، ولحقوا بكر بن وائل واصطدموا بهم وانتصروا عليهم فرجعوا بأموال وغنائم وبما كانت بكر بن وائل سلبته من بني ربيع بن الحارث . وكان رئيس بني يربوع في هذا اليوم : قيس بن عاصم المنقري [2] .

ويعدّ الحارث بن شريك من الجرارين في ربيعة ، ويعرف بالحوفزان [3] . وفي يوم ذي طلوح وقع أسيراً في أيدي بني يربوع . فلما غزا مع قومه بني يربوع في هذا اليوم ، كانت يربوع يقظة عارفة بعزم بكر . فأخذوا بكراً على غرة،وسقط الحوفزان أسيراً فجزت ناصيته،ودفع مئتين من الإبل حتى فدى نفسه من الأسر [4] .

وأما قيس بن عاصم المنقري ، فهو من سادات (منقر) من تميم ، ويعد من سادات أهـــل الوبر ، ومن حلماء بني تميم ، وممن حرّم الخمر على نفسه في الجاهلية [5] .

ولما أغار حزيمة (خزيمة) بن طارق التغلبي على بني يربوع ، وهم بزرود، واستاق إبلهم ، كانت نتيجة غزوته هـــذه أن تعقب بنو يربوع أثره وأسروه ،

---

١ النقائض (١٠٢٣) ، العقد الفريد (٦/٤٧) ، ابن الاثير (١/٣٩٧) ، البـلدان (٣/٣٠) ، (٨/٢٤٣) ، البكري (٤/١٢٩١) ، (طبعة السقا) ، مادة (النباج) و (ثيتل) ، نهاية الارب (١٥/٣٨١ وما بعدها) ، أيام العرب (١٧٥ ومـــا بعدها) .

٢ النقائض (١٢٤ ، ٣٣٦) ، ابن الاثير (١/٣٧٢) ، العقد (٦/٥٨) ، البلـــدان (٣/٦٧) ، سبائك الذهب (١١٥) ، نهاية الارب (١٥/٣٨٩) ، شرح المفضليات ، لابن الانباري (٧٤٠) .

٣ المحبر (٢٥٠ ، ٣٠٤) .

٤ النقائض (٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١) ، العقد الفريد (٦/٥٠) ، ابن الاثير (١/٣٨٩) ، البكري (٣/٨٩٣) ، (مادة ذي طلوح) ، نهاية الارب (١٥/٣٨٣) .

٥ الاشتقاق (١٥٤) .

واستنقذوا ما كان قد أخـذ ، ثم أسروه ولم ينج إلا بعد جز ناصيته ودفع مئة من الإبل[1] .

وكان يوم (ذي طُلوح) وهو موضع في حزْن بني يربوع بين الكوفـة وفَيْد ، لبني يربوع من تميم على بكر من ربيعة . وقد أخذ (الحارث بن شريك) أسيراً ، أخذه حنظلة بن بشر ، وكان ثقيلاً في بني بشر ، فاختصم عبدالله بن الحارث ، وعبد عمرو بن سنان في الحارث ، فحكم الحارث في أمر نفسه،فأعطى كل واحد منهما مئة من الإبل ، وجعل ناصيته لحنظلة بن بشر[2] .

وانتصرت بنو يربوع على بكر في يوم الإياد كذلك ، وكانت بكر قد أقبلت من عند عامل عين التمر قاصدة بني يربوع ، ومعها من الرؤساء بسطام بن قيس فارس بكر وهانيء بن قبيصة ومفروق بن عمرو ، فأحست بنو يربوع بمجـيء بكر ، وقاتلهم في موضع الإياد ، وقتلت جماعة من فرسان بكر ، وأسرت قوماً منهم : هانيء بن قبيصة الذي فدى نفسه ، فنجا[3] .

وقد كان بسطام بن قيس مع الحارث بن شريك ـ الحوفزان ـ ومفروق بن عمرو في يوم الغبيط ، وفيه غزت بنو شيبان بلاد تميم ، غزوا بني ثعلبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن عدي بن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان، وكانوا متجاورين بصحراء فَلْج ، فهزمت الثعالب ، وأصابوا فيهم ، واستاقوا إبلاً من نعمهم . ثم ساروا في أرض بني مالك بن زيد مناة من تميم، فاكتسحوا إبلهم ، فركبت عليهم بنو مالك ، وعليهم عتيبة بن الحارث اليربوعي،والأحيمر ابن عبدالله ، وأسيد بن حباءة ، وأبو مرحب ، وجزء بن سعد الرياحي؛وربيع والحُليس وعمارة بنو عتيبة بن الحارث ، ومالك بن نويرة وغيرهم ، فأدركوهم بغبيط المَدَرة ، فقاتلوهم حتى هزموهم ، وأخذا ما كانوا استاقوا من آباهم ، وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ثعلبة بن الحارث وألح عتيبة بن الحارث ، وأسيد ابن حباءة ، والأحيمر بن عبدالله على بسطام بن قيس حتى وقع بسطام في أسر

---

١ المفضليات (٣) ، العقد الفريد (٦/٤٩) ، خزانة الادب (١/٣٥٤) ، (خزيمة) ، نهاية الارب (١٥/٣٨٣) ، (فحكم بناصية خزيمة للانيف ، على أن لاسيد مائة من الابل . قال : ففدى خزيمة نفسه بمائتي بعير وفرس) ، نهاية الارب (١٥/٣٨٣) .

٢ ابن الاثير ، الكامل (١/٣٨٩) ، النقائض (٤٧ ، ٧٣ ، ٤٨١) ، العقـد الفريد (٣/٤٣٣) .

٣ النقائض (٨٥٠) ، شعراء النصرانية (٢٥٩ وما بعدها) ، ابن الاثير (١/٣٧٣) .

عتيبة . وقد وافق بسطام على دفع دية هي ثلاث مئة بعير وأن تجز ناصيته وعلى أن يعاهد بعدم غزو بني شيبان ، فأفرج عنه[1] .

وغزا بسطام بن قيس رئيس بني شيبان بني يربوع في يوم قُشاوة ، (يوم نعف قشاوة) وقد انتصر فيه على جماعة من بني يربوع ، وعاد مع بعض الغنائم[2]. ويعدّ هذا اليوم من وقعات بسطام المعدودة . قال ابن الأنباري : « كان لبسطام أربع وقعات : أسر يوم الصحراء ، وظفر يوم قشاوة ، وانهزم يوم العظالى ، وقتل يوم النقاء »[3] .

وقد استحر القتل في تغلب ومن كان معهم من تميم ، وذلك في يوم بارق . وكان سببه أن بني تغلب والنمر بن قاسط وأناساً من تميم اقتتلوا حتى نزلوا ناحية بارق من أرض السواد ، وأرسلوا وفداً منهم الى بكر بن وائل يطلبون اليهم الصلح ، فاجتمعت شيبان ومن معهم ، وقرروا الاستفادة من هذه الفرصة ، وعزموا على مباغتة القوم ، فقال : زيد بن شريك الشيباني إني أجرت أخوالي وهم النمر بن قاسط ، فأمضوا جواره ، وساروا وأوقعوا ببني تغلب وتميم ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، لم تصب تغلب بمثلها ، واقتسموا الأسرى والأموال ، وكان من أعظم الأيام عليهم[4] .

وقد اصطدمت بنو شيبان ببعض بطون تميم في يوم زبالة كذلك . وقد حضر هذا اليوم الأقرع بن حابس ، وأخوه فراس ، وهما من تميم ، وكانت تميم هي البادئة بغزو بكر بن وائل . اصطدمت بهم في موضع زبالة ، فنزلت الهزيمة بتميم ، وأسر الأقرع وفراس أخو الأقرع ، أسرهما بنو تيم الله وهم من بكر . ثم لقي بنو تيم الله بني شيبان وهم من بكر أيضاً ومعهم بنو رباب ، فانتزع بسطام بن قيس رئيس بني شيبان الأقرع وأخاه منهم ، وصاروا أسيرين لبسطام . ثم افتدى الأقرع وأخوه أنفسهما من بسطام ، وعاهداه على إرسال الفداء، فأطلقهما

---

١ النقائض (٧٥ ، ١١٣٢) ، ويقال لهذا اليوم : يوم الغبيط ويوم الثعالب ،والثعالب أسماء قبائل اجتمعت فيه . ويقال له : يوم صحراء فلج ، العقد الفريد (٦/٥٥) ، ابن الاثير (١/٣٦٥) ، سبائك الذهب (١١٤) ، نهاية الارب (١٥/٣٨٨) .

٢ النقائض (ص ١٩) ، ابن الاثير (١/٣٦٤) ، البكري (٣/١٠٧٥) «طبعة السقا» ، مادة « قشاوة » ، البلدان (٧/٩٢) « مادة قشاوة » العمدة (٢/١٩١) .

٣ البكري (٣/١٠٧٥) .

٤ الكامل (١/٢٩٩) « المطبعة الازهرية » .

ولكنها لم يرسلا له الفداء[1].

والأقرع بن حابس،فارس مشهور من فرسان تميم . ويعد من حكام العرب . وقد اتصل حكمه في عكاظ إلى الاسلام . ويعد أيضاً من السادة الجرارين ، ومن المؤلفة قلوبهم من تميم[2] .

وكان يوم مبايض من الأيام المهمة التي وقعت بين بني شيبان من بكر، وبين بني تميم . وقد دارت الدائرة فيه على تميم . وألحقت بها خسائر فادحة . وسبب هذا اليوم أن فارساً من فرسان تميم يدعى طريف بن تميم العنبري كان قد وافى عكاظ في الشهر الحرام ، وكان قد قتل رجلاً من بني شيبان ، فتعقبه ابن ذلك الرجل ، ليأخذ بثأر أبيه منه . وصادف أن وقع نزاع بين بني مرة بن ذهل بن شيبان وبين بني ربيعة بن ذهل بن شيبان كاد يؤدي بينهما الى حرب ، فقرر هانيء ابن مسعود رئيس بني ربيعة — حقناً للدماء — الارتحال بقومه ، والنزول على ماء مبايض . فلما سمع طريف العنبري بنزول ربيعة على هذا الماء ، نادى قومه للإغارة على ربيعة ، ما دامت منفردة ، وليس لها في هذا الموضع نصير ، لإضعاف بكر ابن وائل وللإنتقام منها . فعلمت ربيعة بذلك ، فاستعدت للقتال . فلما هاجمت تميم ربيعة ، كان بنو شيبان على استعداد ، فألحقوا بتميم خسارة لم تصب بمثلها، فلم يفلت منهم إلا القليل . وانهزم طريف فتعقبه ابن الشيباني الذي قتله طريف، فقتله . فكان هذا اليوم من أهم الأيام التي وقعت بين بني شيبان وتميم[3] . واسم قاتل (طريف) ، هو (حصيصة الشيباني) ، (حصيصة بن شراحيل)[4] .

وكان سادة تميم الذين قادوهم في هذا اليوم ثلاثة رؤساء ، هم : أبو الجدعاء الطُهَوي علي بني حنظلة ، وابن فدكي المِنقري على بني سعد ، وطريف بن عمرو على بني عمرو بن تميم[5] .

وكان يوم الزورين من ايام بكر على تميم كذلك . وكانت بكر تنتجع أرض

---

١ النقائض (٦٨٠) ، ابن الاثير (٣٦٦/١) ، شعراء النصرانية (٢٩٨) ، أيام العرب (٢٠٦) .

٢ الاشتقاق (١٤٦) ، المحبر (١٣٤ ، ١٨٢ وما بعدها ، ٢٤٧ ، ٣٤٧) .

٣ ابن الاثير (٣٦٨/١) ، العقد الفريد (٦٥/٦) ، معاهد التنصيص (٧١/١) ، نهاية الارب (٣٩٤/١٥) ، أيام العرب (٢٠٨ وما بعدها) .

٤ الاشتقاق (١٣١) ، أيام العرب (٢٠٨) .

٥ أيام العرب (٢٠٩) .

تميم ، ترعى بها اذا أجدبوا. فإذا أرادوا الرجوع ، أخذوا كل ما وجدوه أمامهم واستاقوه معهم . فلما كثر اعتداء بكر على تميم ، تفاقم الشر بينهما وعظم حتى صار لا يلقى بكريّ تميمياً إلا قتله ، ولا يلقى تميمي بكرياً إلا قتله .

ثم عزمت تميم على التخلص من أذى بكر ومنعها من الرعي في أرضها ، فحشدت واستعدت لقتال بكر ، واستعدت بكر لقتال تميم . فلما اصطدم الجمعان تغلبت بكر على تميم ، وقتلت منهم مقتلة عظيمة [1] .

ويذكر أهل الأخبار ان سبب تسمية يوم الزورين بهذه التسمية ، هو ان بني تميم كانوا قد وضعوا بكريْن مجللين مقيدين ، بين الصفين ، وقالوا : هذان زَوْرانا ، أي إلهانا ، فلا نفرّ حتى يفرّا ، وجعلوا عندهما من يحفظهما . فلما أبصر البكريون الزورين هجموا على حراسها وأخذوا البعيرين وذبحوهما ، أو ذبحوا أحدهما وتركوا الآخر يضرب في شولهم . فارتبكت تميم وانهزمت شر هزيمة [2] .

وكان المقدم على بكر (عمرو بن قيس بن مسعود الشيباني) ، المشهور بـ (أبي مفروق) ، قدمته (بكر) عليهم ، فحسده سائر ربيعة ، وأرادوا ازاحته عن الرئاسة ، إذ كانوا يريدون أن يجعلوا على كل حي رجلاً منهم ، وأن يكون كل حي على حياله ، فأصر ابنه (مفروق) عليه بمخالفتهم ، وبقي رئيساً عليهم كلهم : فلما كان القتال ، برك بين الصفين ، وقال أنا زَوْرُكم ، فقاتلوا عني ، ولا تفرّوا حتى أفرّ . ولم يكن الحوفزان بن شريك يومئذ في القتال ، فقد كان في أناس من بني ذهل بن شيبان غازياً في بني دارهم . وممن اشترك فيه : حنظلة بن سيّار العجلي ، وحمدان بن عبد عمرو العبسي ، وأبو عمرو ابن ربيعة بن ذهل بن شيبان . وقتل فيه من بني تميم أبو الرئيس النهشلي ، وهو من ساداتهم [3] .

وقد أكثر الشعراء في ذكر هذا اليوم لا سيما الأغلب العجلي ، وذكره الأعشى أيضاً [4] .

---

١ نهاية الارب (١٥/٣٩١ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١/٣٦٨ وما بعدها) ، اللسان (٤/٣٣٧) ، العقد الفريد (٦/٦٥ وما بعدها) .

٢ اللسان (٤/٣٣٧ وما بعدها) « صادر » ، العقد الفريد (٥/٢٠٥ وما بعدها) ، أيام العرب (٢١٢) .

٣ العقد الفريد (٥/٢٠٥ وما بعدها) ، الكامل (١/٣٦٨ وما بعدها) .

٤ الكامل (١/٣٦٨ وما بعدها) .

وكان سبب يوم عاقل ان (الصِّمّة بن الحارث الجُشَمي) أغار على بني حنظلة بعاقل ، فأسره الجعدين الشّمّاخ أحد بني عدي بن مالك بن حنظلة ، وهزم جيشه ، وأبطأ الصمة في فدائه فجزّ الجعد ناصيته وأغلظ في الكلام عليه ، فضرب الصمة عنقه . فمكث الصمة زماناً ، ثم غزا بني حنظلة ، فأسره الحارث ابن بيبة المجاشعي (الحارث بن نبيه المجاشعي) وهزم جيشه ثم أجاره الحارث من إساره ذلك ، وخرج الحارث بالصمة الى بني يربوع من بني حنظلة ليشتري الصمة أسراء قومه . فلما رأى (أبو مرحب) ، وهو ثعلبة بن الحارث،الصمة، وكان يعرف انه غدر بالجعد ، خنس عنه ، وأخذ سيفه ثم جاء فضرب به بطن الصمة فأثقله[1] .

وأما أشهر الأيام التي وقعت بين قيس وتميم ، فيوم الرحرحان ، ويوم شعب جبلة ، ويوم ذي نجب ، ويوم الصرائم ، ويوم الرغام ، ويوم جزع ظلال ، ويوم المروت .

أما يوم رحرحان ، فقد أشرت اليه سابقاً ، وهو يوم وقع في أعقاب قتل الحارث بن ظالم المُري خالد بن جعفر الكلابي ، وكان سببه أن قوم الحارث ابن ظالم أنكروا عليه فعله . ولاموه على عمله فتجنبهم وهرب منهم ، ولحق بتميم فأجاروه ، فاستاءت بنو عامر من ذلك ، وطلبت من بني تميم تسليم الحارث اليهم. فلما أبوا ، جاءت بنو عامر تريد مباغتة تميم ، وكانت تميم قد علمت بمسيرها اليهم ، فأرسلوا بما عندهم من أثقال وأهل الى بلاد بني بغيض . ولما كانوا في موضع رحرحان ، التقوا ببني عامر ورئيسهم الأحوص ، فدارت الدائرة على بني تميم ، وأسر منهم معبد بن زرارة : أسره عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب[2] . وشاركهما في أسره رجل من غنيّ يقال له:أبو عميرة عصمة بن وهب، وكان أخا طُفيل من الرضاعة،وفي أسرهم مات معبد . شدّوا عليه القِدّ وبعثوا به الى الطائف خوفاً من بني تميم أن يستنقذوه[3] .

---

١ النقائض (١٠١٩) ، أيام العرب (٢١٧ وما بعدها) ، العمدة (٢٠٧/٢) .

٢ العقد الفريد (٨/٦ وما بعدها) ، النقائض (٢١٤/١) ، الاغاني (٣٠/١٠) ، ابن الاثير (٣٤١/١) ، الميداني (٣٩٨/٢) ، (الباب التاسع والعشرون : في أسماء أيام العرب) العمدة (١٩٨/٢ وما بعدها) .

٣ العمدة (٢٠٩/٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) .

وأخذ لقيط بن زرارة يستعد ويجمع العدة ، لينتقم من بني عامر ، وليأخذ منهم بثأر أخيه معبد الذي أسر في يوم رحرحان ، ثم هلك لمنع بني عامر الماء عنه[1] . فذهب الى النعمان بن المنذر وأطعمه في الغنائم ، فأجابه . ثم ذهب الى الجون الكلبي ملك هجر[2] ، فأجابه أيضاً . ثم توجه الى كل من عرف بعدائه لبني عامر وعبس ، فأوغر صدره عليهم ، ومنّاه بالغنيمة والنصر ، فانضمت اليه بنو ذبيان لعدائها لعبس بسبب حرب داحس والغبراء ، وبنو أسد للحلف الذي كان بينهم وبين بني ذبيان . فلما مضى الحول على يوم رحرحان ، انهالت الجيوش على لقيط ، فوصل جيش الجون الكلبي وعليه عمرو ومعاوية ابناه ، ووصل جيش النعمان وعليه أخوه لأمه حسّان بن وبرة الكلبي ،وأقبل الحليفان أسد وذبيان وعليهم حصن بن حذيفة ، وأقبل شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المرار في جمع من بني كندة .

وسار سادات تميم : حاجب بن زرارة ، ولقيط بن زرارة ، وعمرو بن عمرو ، والحارث بن شهاب ، ومعهم أحلافهم ومن انضم اليهم ، يقصدون بني عامر ، فنتج عن ذلك جمع لم يكن في الجاهلية أكثر منه .

وعرفت بنو عامر بمجيء الجمع ، فاستعدت له وتحصنت في شعب جبلة . أخبرها بذلك كرب بن صفوان السعدي ، وكان شريفاً من أشراف قومه لم يخرج مع الجمع ، فخافوا من تخلفه عنهم ، وعرفوا انه دبّر في ذلك أمراً ،وانه يقصد إخبار بني عامر . فأخذا عليه العهد بألا يفشي سر مسيرهم هذا لبني عامر . وقد سار كرب بن صفوان الى بني عامر ، وأظهر لهم علائم هجوم بني تميم عليهم ، دون أن يقول لهم شيئاً عنه لئلا يخلف وعده . فعرفوا به ، واستعدوا له . وبينما كان القوم على وشك الوصول الى ديار بني عامر ، عادت بنو أسد فغيرت رأيها من الاشتراك في هذا الهجوم ، ورجعت عنهم ، ولم يسر مع لقيط منهم إلا نفر يسير .

ولما وصل بنو تميم وأحلافهم الى شعب جبلة ، كان بنو عامر على أتم استعداد للقاء . وقد احتموا في مواضع منيعة حصينة من الشعب . ولما دخلوه يريدون

---

١ الاشتقاق (ص ١٤٥) .
٢ (الكندي) ، نهاية الارب (١٥/٣٥١) .

الفتك ببني عامر وعيس ، باغتهم هؤلاء بهجوم مفاجىء أفسد عليهم خطط قتالهم فارتدوا مذعورين تتعقبهم سيوف بني عامر . فكانت هزيمة فادحة نزلت بتميم وبمن كان معهم من الأحلاف كلفت لقيطاً حياته ، وأوقعت حاجباً في الأسر ، وأوقعت غيره في الأسر كذلك[1] .

وقد وقع هذا اليوم في عام مولد النبي على بعض الروايات ، أي سنة ٥٧٠ للميلاد ، وبعد عام من يوم الرحرحان[2] . وقد أشار بعض الرواة الى اشتراك عمرو بن الجون ومعاوية بن الجون في هذا اليوم ، والى عقد معاوية بن الجون الألوية ، فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون . وكان بنو عمرو ابن تميم مع لواء حاجب بن زرارة ، وكان لواء الرباب مع حسان بن همام،وعقد لجماعة من بطون تميم مع لقيط بن زرارة ، وكان عمرو بن الجون أول من قتل في هذا اليوم . وأسر أخوه معاوية بن الجون ، كما أسر عمرو بن عمرو بن عدس وحاجب بن زرارة . وقد حمل عنترة على لقيط ، فضربه بسيفه . ثم فدى حاجب بن زرارة بخمس مئة من الإبل ، وفدى عمرو بن عمر بمئتين[3] .

وقد كان يوم جبلة في عام واحد مع يوم رحرحان على رواية ، ويتصدون بهذا اليوم يوم رحرحان الثاني تمييزاً له عن يوم رحرحان الأول الذي غزا فيه يثربي ابن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم بن عامر بن صعصعة . وفي يوم رحرحان الثاني على هذه الرواية ، كان أسر معبد بن زرارة : وقد نقل الى الطائف خوفاً من بني تميم أن يستنقذوه[4] .

وبعد مرور عام على يوم جَبَلَة طمعت بنو عامر في غزو بني تميم والإيقاع بها ، فذهبت الى حسان بن كبشة الكندي ، وعلى رأسها ملاعب الأسنة عامر ابن مالك بن جعفر وطفيل بن مالك بن جعفر وعمرو بن الأحوص بن جعفر

---

١ الاغاني (١٠/٣٣) ، العقد الفريد (٦/٩ وما بعدها) ، ابن الاثير (١/٣٥٥) ، النقائض (٢/١١٥) ، الميداني (٢/٣٩٨) ، (الباب التاسع والعشرون : في أسماء أيام العرب) ، البكري (٢/٣٦٥) (جبلة) ، سبائك الذهب (١١٠ وما بعدها) ، أيام العرب (١٤٩ وما بعدها) ، نهاية الارب (١٥/٣٥٠) ، الاغاني (١١/١٣١ ، ١٦١) ، البلدان (٣/٤) .

٢ البكري (٢/٣٦٥ وما بعدها) ، (جبلة) ، العقد الفريد (٦/٩ وما بعدها) .

٣ ابن الاثير (١/٢٤٣) ، ولابن اسحاق رواية أخرى عن هذا اليوم .

٤ العمدة (٢/١٩٨ وما بعدها) .

ويزيد بن الصعق وقدامة بن سلمة بن قشير وعـامر بن كعب بن أبـي بكر بن كلاب ، تطمعه في الغنيمة وفي الأموال الوافرة والسبي إن انضم اليها وساعدها في الغزو ، فغلبه طمعه ووافق على السير معهم الى بني حنظلة بن مالك بن تميم .

وبلغ الخبر بني حنظلة ، فتركوا ديـارهم برأي عمرو بن عمرو بن عدس ، وكانت في أعلى ذو نجب . وأما في أسفله، فكان بنو يربوع، وهم من تميم كذلك. فلما بلغ حسان ومن معـه من الجيش الموضع ، اقتتلوا مع بني يربوع ، فشدّ (حشيش بن نمران الرياحي) على حسان وضرب بالسيف على رأسه فقتل، وانهزم أصحابه ، وأسر يزيد بن الصعق ، وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة، فكان النصر فيه لبني تميم[1] .

وفي رواية أن بني عامر استنجدت بمعاوية بن الجون الكندي ، فأنجدهم بابنيه عمرو وحسان وبجيشه ، فقتل في ذلك اليوم عمرو بن معاوية الكندي ، وأسر حسان ابن معاوية الكندي ، وقتل عامة الكنديين[2] .

وفي رواية أخرى ان حسان بن معاوية آكل المرار ، هو الذي اشترك في هذا اليوم ، وقد قتل فيه : قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع . وفي رواية أخرى انه كان في جملة من وقع في الأسر ، وان المقتول رجل آخر هو عمرو بن معاوية . وقد قتل في هذا اليوم عمرو بن الأحوص رئيس بني عامر يومئذ. قتله خالد بن مالك النهشلي[3] .

وفي يوم الصرائم ، وهو يوم يسمى أيضاً بيوم بني جذيمة وبيوم ذات الجرف، أغارت فيه بنو عبس على ربيعة بن مالك بن حنظلة ، فأتى (الصريخ) بني يربوع، فركبوا في طلب بني عبس ، فأدركوهم بذات الجرف، فقتلوا منهم جملة قتلى ، وأسروا بعض الرؤساء[4] .

وكان لبني تميم يوم آخر على بني عبس وعامر ، وهو يوم مأزق (ملزق) ويسمى أيضاً بيوم السوبان . وذلك بعد أن قاتلت تميم جميع من أتى بلادها من القبائل ، وهم إياد وبلحارث بن كعب ، وكلب ، وطيء ، وبكر ، وتغلب

---

١ ابن الاثير (٣٦٣/١) ، النقائـض (٣٠٢ ، ٥٨٧ ، ٩٣٢ ، ١٠٧٩) ، البكـري (١٢٩٧/٤) ، (ذو نجب) ، العمدة (٢٠١/٢) .

٢ البكري (١٢٩٧/٤) (ذو نجب) ، الاغاني (١٣٦/١١) .

٣ العمدة (٢٠١/٢) ، أيام العرب (٣٦٦) .

٤ النقائض (٢٤٨ ، ٣٣٦) ، العمدة (٢٠٠/٢) .

وأسد ، وآخر من أتاهم بنو عبس وبنو عامر[1] . ويظهر ان تميماً حاربت هذه القبائل للتخلص منها ، وكانت تنزل في ديارها للانتجاع في أرضها،وهي أرضون خصبة واسعة ، فكلفها ذلك عدة حروب .

وقد انتصرت تميم على عامر في يوم المروت . وكان سببه نزاع بسيط وقع بين (قعنب بن الحارث بن عمرو بن همام اليربوعي) وبين (بجير بن عبدالله العامري) بسبب نسب فرس ، أدى الى غزو بجير لبني العنبر من تميم ، ثم الى ملاحقة بني يربوع لبجير وجماعته من بني عامر ، والى سقوط عدد من القتلى من بني عامر واسترداد ما كان بنو عامر قد غنموه . وقد ضرب (قعنب بن عتاب) رأس (بجير) فأطاره[2] .

وانتصرت بنو يربوع على بني كلاب من قيس في يوم الرُغام[3] . وذلك أن (عتيبة بن الحارث بن شهاب) أغار في بني ثعلبة بن يربوع على طوائف من بني كلاب . وكان أنس بن عبّاس الأصم أخو بني رِعْل مجاوراً في بني كلاب وكان بين بني ثعلبة بن يربوع ، وبين بني رعل عهدٌ ألا يسفك دم ، ولا يؤكل مال . فجاء الكلابيون الى أنس بن عباس الأصم راجين منه أن يذهب الى بني (ثعلبة) ليحبسهم عنهم حتى يتدبروا أمرهم ويستعدوا للقتال . فذهب أنس اليهم وقابل حنظلة بن الحارث شقيق عتيبة بن الحارث ، وكلّمه في أمر ما بينه وبين بني ثعلبة من عهد ، فأجيب الى طلبه ، وتباطأ في أخذ ما سلبه منه بنو ثعلبة من إبل حتى جاءت فوارس بني كلاب ، فحمل (الحوثرة بن قيس) وهو من فرسان بني كلاب على (حنظلة بن الحارث) فقتله ، فحمل فرسان من بني ثعلبة بن يربوع على الحوثرة،فأسروه ، ودفعوه الى عتيبة فقتله ، وهُزم الكلابيون. ومضى بنو ثعلبة بالإبل والغنائم ، واتبعهم (أنس بن عباس) رجاء أن يصيب منهم غرةً ، فيأخذ منهم ما يريد . ولما مرّ بالطريق ، تغفله (عتيبة) وأسره، وأتى به أصحابه ، وأراد أصحاب عتيبة قتله ، ولكنه أبى أن يفعل بل قبل من

---

١ العمدة (٢/٢٠٢) ، (ملزق) ،العمدة (٢/٢١٢) (محمد محيى الدين عبد الحميد) .

٢ النقائض (٧٠) ، ابن الاثير (١/٣٨٦) ، العمدة (٢/١٩٢) ، سبائك الذهب (١١٢) . أيام العرب (٣٧٥) .

٣ النقائض (٤١٠) ، العمدة (٢/٢٠٤) .

أنس الفداء ففدى نفسه بمئتي بعير[1] .

وأما يوم جزع ظلال (طلال) ، فكان النصر فيه لفزارة ، وهم من قيس كذلك على بني تميم . وكان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري قد أغار بقومه فزارة ، ومعه مالك بن حمار الشمخي من بني شمخ بن فزارة ، على التيم وعدي وثور أطحل من بني عبد مناة ، فأصاب غنائم كثيرة ، ورجع بأسرى عديدين أطلقهم فيما بعد . فلما مضت مدة ، بلغه أن النعمان بن جساس التيمي وعوف بن عطية وسبيع بن الخطيم ، وهم سادة تيم ، وابن المخيط وهو سيد بني عدي تيم ، انطلقوا الى بني سعد بن زيد مناة وضبة يستمدونهم ويسألونهم النصر ، فركب عيينة بن حصن مع قومه ، وأغار على التيم ، فقتلوا منهم قتلاً شديداً وأخذوا سبياً كثيراً . واحتفلوا بانتصارهم هذا بشرب الخمر . وكان نساء تيم ومن كان معهن من رجالهن ينقلون زقاق الخمر اليهم . ولم يسقوا تيماً محقرة لهم . ثم مضى زمن فردّ بنو فزارة السبي الى تيم ، وأطلقوا الرجال بغير فداء[2].

ومن أيام ضبة وغيرهم : يوم النسار ، ويوم الشقيقة ، ويوم بزاخة ، ودارة مأسل ، والنقيعة .

وكان سبب يوم النسار جدب حلّ بأرض مضر ، وخصب أصاب بلاد بني سعد والرباب ، مع غيث غامر . فلما وقع ذلك الغيث ، أقبلت عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن الى بني سعد ، وكانوا يواصلونهم بالنسب ، فسألوهم أن يُرعوهم ومن معهم من هوازن ففعلوا .

فلما اجتمعت بنو سعد والرباب وهوازن ومن معها ، قال بعضهم لبعض : انه ما اجتمع مثل عدتنا قط إلا كانت بينهم أحداث ، فليضمن كل حي ضامن ، فكان الضامن لما كان في سعد والرباب الأهتم ، وهو سنان بن سميّ بن خالد ، وكان الضامن على هوازن قرة بن هبيرة بن عامر بن صعصعة . فرعوا ذلك الغيث حيناً ، حتى وقع شر ، سببه أن (الختف) وهو رجل من بني ضبة قتل رجلاً من بني قشير ، فوقع الشر ووقعت الحرب ، واجتمع بنو سعد مع بني عامر ، واستمدوا بني أسد فأمدوهم ، والتقوا مع (بني ضبة) بالنسار فاقتتلوا، فصبرت

---

١ أيام العرب (٣٧٠ وما بعدها) .

٢ النقائض (٣٠٢ ، ١٠٦) ، « جزع طلال » ، العمدة (٢/٢٠٤) ، أيام العرب (٣٧٣ وما بعدها) .

عامر ، واستحر بهم القتل ، وانفضت بنو سعد وهربت ، ثم هرب بنو عامر . وقتل في هذا اليوم : شريح بن مالك القشيري ، رأس بني عامر ، ووقع سبي منهم في أيدي خصومهم[1] .

وقد وقع يوم النسار بعد يوم جبلة ، وذلك لأن الأحاليف ، وهم غطفان وبنو أسد وطيء شهدوا يوم النسار بعدما تحالفت الأحاليف ، وحضره حصن بن حذيفة ، وكان حصن رئيس الأحاليف ، كما جاء ذلك في شعر لزهير بن أبي سُلمى[2] . هذا ما يراه الرواة وأهل الأخبار من علماء قيس وبني أسد ، ويؤيده أبو عبيدة[3] . أما الرباب ورواة ضبة ، فترى ان يوم النسار كان قبل يوم جبلة ويفند أبو عبيدة رأي الرباب[4] . ويقول أبو عبيدة : كان حاجب بن زرارة على بني تميم يوم النسار ويوم الجفار ، وأن « لقيطاً قتل يوم جبلة ، ولو كان حياً ما تقدمه فيه حاجب بن زرارة . وإنما نبّه أبو عكرمة بعد أبي نهشل ، وكانا قبل مبعث النبي بسبع وعشرين سنة . وكان عام جبلة مولد النبي »[5] .

وذكر (المسعودي) أن (بني عامر بن صعصعة) كانوا يؤرخون بيوم شعب جبلة . وكان قبل الإسلام بنيف وأربعين سنة[6] .

وقد كان يوم شِعب جبلة بين بني عامر وأحلافها من عبس وبين من سار اليهم من تميم ، وعليهم حاجب ولَقيط ابنا زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله ابن دارِم ، ومن عاضدهما من اليمن مع ابنيّ الجون الكنديين[7] .

وما في رواية أبي عبيدة أو غيره من أن مولد النبي كان في عام جبلة ، وهم . فالرجال الذين أسهموا في ذلك اليوم ، كانوا قد هلكوا قبل ذلك بأمد ، ولم يدركوا أيام الرسول.وقد ذكر أن يوم جبلة كان قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة[8].

---

١ النقائض (٢٣٨ ، ٧٩٠ ، ١٠٦٤) ، العقد الفريد (٦/٩٩) ، ابن الاثير (١/٣٧٦)، الميداني (٢/٣٩٦) ، العمدة (٥/١٩٩) ، شرح المفضليات (٣٦٣) ، أيام العرب (٣٧٨ وما بعدها) ، نهاية الارب (١٥/٤٢١) .

٢ نقائض جرير والفرزدق (١/٢٣٨ وما بعدها) ، المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) .

٣ المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) .

٤ المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) .

٥ ديوان جرير والفرزدق (٢/٧٩٠) ، العمدة (٢/٢٠٠) .

٦ التنبيه (١٧٥) .

٧ التنبيه (١٧٥) .

٨ بلوغ الارب (٢/٧١) .

وقد غضبت بنو تميم وخجلت مما نزل ببني عامر من عار بسبب هذا اليوم ، وحلف (ضمرة بن ضمرة النهشلي) ، وهو من سادات بني تميم على أن يترك الخمر ويحرمه عليه حتى يأخذ بثأره من بني أسد ، فهيأ نفسه وعبأ قومه لقتالهم، والتقى بهم في يوم ذات الشقوق ، وانتصر فيه عليهم ، وفرح بهـذه النتيجة ، وأباح لنفسه عندئذ شرب الخمر[1] .

ولما كان على رأس الحول من يوم النسار اجتمع من العرب مـن كان شهد النسار . وكان رؤساؤهم بالجفار ، الرؤساء الـذين كانوا يوم النسار ، إلا أن بني عامر تقول كان رئيسهم بالجفار (عبدالله بن جعدة بن كعب بن ربيعة) ، فالتقوا بالجفار ، واقتتلوا ، وصبرت تميم ، فعظم فيها القتل وخاصة في بني عمرو ابن تميم . وكان يوم الجفار يسمى (الصيلم) لكثرة من قتل به[2] .

وفي يوم الجفار التقت بكر بتميم على رواية[3] ، والتقى الأحاليف في ضبـة وإخوتها الرباب وأسد وطيء على بني عمرو بن تميم في روايـة أخرى ، واستحر القتل يومئذ في بني عمرو بن تميم على هذه الرواية ، فكان النصر فيها للأحاليف[4] .

وفي يوم السِتار ، وهو يوم كان بين بكر بن وائل وبني تميم، قتل قيس بن عاصم وقتادة بن سلمة (مسلمة) الحنفي فارس بكر[5] ، وكان قتادة من الجرارين في ربيعة[6] .

ولضبّة نصر آخـر ، كان في يوم الشقيقة على بني شيبان . وقد قتل فيـه بسطام بن قيس سيد بني شيبان . وكان ذلك بسبب قيام بسطام بغارة على بني ضبة وطمعه في إبل مالك بن المنتفق الضبّي . فلما رأت ضبة بسطاماً ، وهو يغير على

---

١ البكري ، معجم (١٣٠٦/٤) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٧٦/١) ، ابـن سلام ، طبقات (١٧٩) ، مراصد الاطلاع (٢٠٩/٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٥٦٤/٣) ، العقد الفريد (٣٧٥/٣) ، المفضليات (٣٦٣ وما بعدها) ، البلدان (٧٧٨/٤) ، العمدة ، لابن رشيـق (٩٩/٢ وما بعدهـا) . النقائض (٢٣٨ وما بعدهـا) (١٠٦٤/٢) ، نهاية الارب للنويري (٤٢١/١٥) ، اللسان (٢٠٥/٥) « صادر » تاج العروس (٥٦٩/٣) .

٢ ابن الاثير ، الكامل (٣٧٦/١) . العقد الفريد (٣٧٥/٣) .

٣ الميداني (٣٩٦) .

٤ العمدة (٢٠٨/٢) .

٥ الميداني (٣٩٦/٢) .

٦ المحبر (٢٥٠) .

الإبل ، هاجمته فوقع قتيلاً ، فولت بنو شيبان مهزومة تاركة ما استولت عليه وعدداً من رجالها بين قتيل وأسير[1] . ويعرف هذا اليوم باسم آخر هو : (نقا الحسن)[2] .

وانتصرت ضبة على إياد في يوم يسمى بيوم بُزاخة . وقد كان بسبب إغارة مُحرق الغساني وأخوه في إياد وطوائف من العرب من تغلب وغيرهم على بني ضبة بـ (بزاخة) فاقتتلوا قتالاً شديداً حمل فيه (زيد الفوارس) على محرق فأسره، وأسرت بنو ضبة أخا حُبيش بن دلف السيدي ، فقتلتها وهزم من كان معها ، وأصيب ناس منهم فيه[3] .

وفي بعض الروايات أن يوم بزاخة هو يوم إصنم . وهو يوم كان لبني عائذة ابن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث بن مزيقيا الملك الغساني ، وهو عمرو بن عامر ، وفيه قتل ابن مزيقيا ، فانهزم أصحابه هزيمة منكرة . وفي رواية أخرى ان هذا اليوم كان مع عبد الحارث من ولد مزيقيا[4] .

وأما يوم (دارة مأسل) ، فكان لضبّة على بني عامر ، غزا (عتبة بن شُتير بن خالد الكلابي) بني ضبّة ، فاستاق نعمهم . وقتل (زيد الفوارس) (حصن بن ضرار الضبي) ، وكان يومئذ حدثاً لم يذكر . فجمع أبوه ضرار قومه ، وخرج ثائراً على بني عمرو بن كلاب ، فأفلت منه (عتبة بن شُتير) وأسر أباه (شُتير بن خالد) فأمر ضرار ابنه (أدهم) أن يقتله[5] .

وانتصرت ضبّة على بني عبس في يوم النقيعة ، ويسمى أيضاً يوم أعيار . وقد كان بنو عبس قد أغاروا فيه برئاسة عمارة بن العبسي على إبل لبني ضبّة ، ومعه جيش من بني عبس ، فأطردوا إبلهم ، وركبت عليهم بنو ضبة،فأدركوهم في المرعى ، فحمل (شرحاف بن المثلم بن المشخرة العائذي الضبي) على عمارة فقتله ، واستنقذت بنو ضبة فيه إبلها من (بني عبس) . ويعرف عمارة بـ (عمارة

---

١ النقائض (١٩٠ ، ٢٣٣) ، ابن الاثير (٣٧٦/١) ، التبريزي ، شرح ديوان الحماسة (٥٢/٣) ، سبائك الذهب (١١٢) ، أيام العرب (٣٨٢ وما بعدها) .
٢ العمدة (١٩٨/٢) .
٣ العمدة (١٩٧/٢) ، النقائض (١٩٥) ، أيام العرب (٣٨٨) .
٤ العمدة (١٩٨/٢) .
٥ العقد الفريد (٤٣/٦) ، أيام العرب (٣٩٠) ، نهاية الارب (٣٧٨/١٥) .

الوهاب)[1] .

ومن الأيام التي وقعت بين (قيس) و (كنانة) : يوم الكديد ، ويوم برزة وحروب الفجار . أما يوم الكديد ويوم برزة ، فقد تحدثت عنهما قبل قليل. وأما حروب الفجار فإليك ما جاء عنها .

العادة في الجاهلية ألا قتال في الأشهر الحرم لقدسيتها ومكانتها ، فهي أشهر حرم يستريح فيها الأفراد والقبائل من القتال، ويكون الانسان فيها آمناً على نفسه وماله، فيظهر فيها الفرسان المعروفون بسفكهم الدماء دون خوف وإن كانوا يتقنعون بقناع حين حضورهم الأسواق مثل عكاظ خوفاً من وقوف طلاب الثأر على حقيقتهم ، فيتعقبون خطاهم ، فيفتكون بهم بعد انتهاء الأشهر الحرم. ويذهب في هذه الأشهر الناس الى الأسواق للامتيار ، والى الكعبات للحج الى الأصنام ، ثم يعودون الى منازلهم مع انتهاء الأيام الحرم خشية حلول الأشهر الأخرى فيتعرضون لطمع الطامعين وغزو الغازين .

ومع ما لهذه الأشهر من الحرمة ، فقد وقعت فيهـا حروب عرفت بحروب الفجار وبأيام الفجار ، لأن من اشترك فيها كان قد فجر فيها بانتهاكه قدسية هذه الأشهر الحرم[2] . ولكنها على ما يظهر من وصف الأخباريين لها لم تكن حروباً كبيرة واسعة ، انما كانت مناوشات ومهاترات وقعت لأسباب تافهة بسيطة . ففي الفجار الأول لم يرق فيه دم ، وانما محاورات وخصومة كلامية بين كنانة وهوازن بسبب حادث بسيط لا يستوجب في الواقع خصومة ولا اشتباكات . فقد تطاول (بدر بن معشر الغفاري) (بدر بن معسر الغفاري) على الناس ، بأن جلس بعكاظ في الموسم والعرب مجتمعة فيه ، ثم مدّ رجله وقال : أنا أعز العرب ، فمن زعم انه أعز مني فليضربها بالسيف . فوثب رجل من (بني نصر بن معاوية) اسمه (الأحمر بن هوازن) فضربه بالسيف على ركبته فقطعها ، فتحاور الحيّان: أهل المضروب مع أهل الضارب عند ذلك . حتى كاد أن يكون بينهما الدماء، ثم

---

١ النقائض (١٩٣) ، ابن الاثير (٣٩٤/١) ، العمدة (١٩٨/٢) ، أيام العرب (٣٩١ وما بعدها) .

٢ العقد الفريد (١٠١/٦ وما بعدها) ، مروج الذهب (٢٧٥/٢) ، اللسان (٤٨/٥)، (فجر) ، تاج العروس (٤٦٥/٣) ، (فجر) .

تراجعوا ورأوا ان الخطب يسير[1] .

وفي الفجار الثانية وقعت بينهم دماء يسيرة . وكان سببه عبث شباب من قريش وكنانة بامرأة من بني عامر بن صعصعة وكانت وضيئة حسانة رأوها بسوق عكاظ، فأرادوا منها أن تكشف لهم عن برقعها ، فثارت ونادت : (يا آل عامر) ، ونادى الشباب قومهم ، فالتحموا في قتال لم يكن هذا الحادث ليوجبه ، ثم انتهى بتوسط (حرب بن أمية) (الحارث بن أمية) باحتمال دماء القوم[2] .

أما الفجار الثالث ، فكان بسبب دين كان لرجل من بني جشم بن بكر بن هوازن على رجل من كنانة ، فلواه به ، ولم يعطه شيئاً منه . فلما أعياه ، وافاه في سوق عكاظ بقرد ، وجعل ينادي : « من يبيعني مثل هذا الربّاح بمالي على فلان بن فلان الكناني . من يعطيني مثل هذا بمالي على فلان بن فلان الكناني رافعاً صوته بذلك ، فلما أكثر من ندائه ، مرّ به رجل من بني كنانة ، فقتل القرد ، فهتف الجُشمي : (يا آل هوازن) ، وهتف الكناني : (يا آل كنانة) وتجمع الحيّان حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلى ، ثم كفوا وقالوا : « أفي ربّاح تريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ؟ » وأصلح عبدالله بن جُدعان بينهما[3] .

ووقع الفجار الآخر بسبب رجل خليع سكير فاسق، أتعب قومه فخلعوه وتبرأوا منه فخرج منهم ، وصار يتنقل من قبيلة الى قبيلة ومن سيد الى سيد يطلب الحماية والجوار . فلما لفظه الجميع ، وتعبوا منـــه ، ذهب الى مكة مستجيراً بحرب بن أمية ، فحالفه ، وأحسن جواره . ثم شرب بمكة ، وعـــاد إلى سيرته الأولى ، فهم حرب بخلعه ، فخرج من مكة ، وذهب عنه الى الحيرة . فلما كان هناك،

---

١ العقد الفريد (٦/١٠١) ، الاغاني (٣/٣٦٨) ، ابن الاثير (١/٣٥٩) ، العمدة (٢/٢٠٧) ، سرح العيون (٥٨) ، أيام العرب (٣٢٢) ، العمدة (٢/٢١٨) (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، الاغاني (١٩/٧٣) ، (مطبعة التقدم ١٩٣٢ م) ، تاريخ الخميس ، للديار بكري (١/٢٥٥) .

٢ العمدة (٢/٢١٩) ، (محمد محيى الدين عبد الحميد) ، الاغاني (١٩/٧٤) ، الكامل ، لابن الاثير (١/٣٥٩) ، تأريخ الخميس (١/٢٥٥) ، السيرة الحلبية (١/١٤١) .

٣ العمدة (٢/٢٠٧) ، أيام العرب (٣٢٥) ، (كان بسبب دين بني نصر على أحد بني كنانة) العمدة (٢/٢١٩) ، (محمد محيى الدين عبد الحميد) ، الاغاني (١٩/ ٧٤) ، السيرة الحلبية (١/١٤١) ، الكامل في التأريخ (١/٣٥٨ وما بعدهـا) ، تأريخ الخميس (١/٢٥٥) .

عرض على النعمان بن المنذر أن يتولى له حماية لطيمته،ويجيزها له على أهل الحجاز. وسمع بذلك عروة الرحال ، وهو يومئذ رجل هوازن ، فاحتقر أمر هذا الخليع : (البراض بن قيس الكناني) ، فقال للملك : أكلب خليع يجيزها لك ؟ أبيت اللعن ، أنا أجيزها لك على أهل الشيح والقيصوم في أهل نجد وتهامة . فدفعها النعمان اليه ، وخرج عروة بها ، والبراض بن قيس يتعقبه . فلما كان بأوارة غافله البراض ، فقتله ، واستاق اللطيمة الى خيبر . ولما بلغ خبر مقتل عروة كنانة وهوازن ، هاج الطرفان ، واشتبكا في قتال وقع بموضع نخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجنّ عليهم الليل فكفّوا .

وجرّ عمل هذا الخليع الى وقوع جملة أيام أخرى ، أدت الى اضطراب الأمن في مواسم أمن ما كان يحدث فيها قتال . فبعد عام من يوم نخلة ، تجمعت قريش وكنانة بأسرها والأحابيش ومن لحق بهم من بني أسد بن خزيمة ، لملاقاة سليم وهوازن،ووزع عبدالله بن جُدعان السلاح على الشجعان الفرسان المعروفين بالشجاعة والصبر ، وسلّح يومئذ مئة كميّ بأداة كاملة،سوى من سلّح من قومه واجتمعوا بموضع شمطة من عكاظ في الأيام التي تواعدوا فيها على قرن الحول[1] .

وترأس المتقاتلين المتواعدين سادات ذلك الوقت المعروفون . وعلى كنانة كلها حرب بن أمية ، ومعه عبدالله بن جُدعان وهشام بن المغيرة وهما على الميمنة والميسرة ، وعلى هوازن وسُليم كلها مسعود بن معتب الثقفي . وفي بني عامر ملاعب الأسنة أبو براء ، وفي بني نصر وسعد وثقيف سُبيع بن ربيع ، وفي بني جشم الصمة والد دريد وفي غطفان عوف بن أبي حارثة ، وفي بني سُلَيم عباس ابن زغل ، وفي فهم وعدوان كدام بن عمرو .

وكانت الدائرة في أول النهار لكنانة على هوازن ، حتى إذا كان آخر النهار تداعت هوازن وصابرت ، وانكشفت كنانة فاستحر القتل فيهم ، فقتل منهم تحت رايتهم مئة رجل ، ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، فكان هذا اليوم لهوازن على كنانة وقريش[2] .

---

١ (شمطة) ، نهاية الارب (٤٢٧/١٥) ، الاغاني (٧٥/١٩) ، سيرة ابن هشام (١٩٦/١) ، السيرة الحلبية (١٤٢/١) ، العقد الفريد (٢٥٢/٥) .

٢ نهاية الارب (٤٢٧/١٥ وما بعدها) ، العقد الفريد (١٠٦/٦ وما بعدها) ، ابن الاثير (٢٤٦/١ وما بعدها) .

وقد وقع الفجار الثاني بعد الفيل بعشرين سنة ، وبعد موت عبد المطلب باثنتي عشرة سنة على رواية . ويعـد من أيام العرب المشهورة ، وهو أشهر من يوم جبلة الذي وقع قبله في بعض الروايات [1] .

وعادت هوازن وكنانة الى الحرب ، والتقوا على قرن الحول في اليوم الثالث من أيام عكاظ ، واقتتلوا وكانت الهزيمة على كنانة . وقد عرف هذا اليوم بيوم العبلاء [2] .

وقد تأثرت كنانة من الهزيمة التي لحقتها في يومي شمطة والعبـلاء ، وأخذت تستعد للانتقام من هوازن ، فتكتل رؤساؤها واشتروا الأسلحة ، وحمل عبدالله بن جدعان مُري قريش وغنيها يومئذ ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير . وتولى قيادة كل بطن رئيسه ثم سارت على رأس الحول من اليوم الرابع من ايام عكاظ قاصدة هوازن ، فالتقت بها واشتبكت معها في قتال كاد يهرب فيه بنو كنانة ، لولا صبر بني مخزوم وبلاؤها بلاءً حسناً . وخشيت قريش أن يجري عليها ما جرى يوم العبلاء ، فقيّد حرب وسفيان وأبو سفيان بنو أمية بن عبـد شمس أنفسهم وقالوا : لا نبرح حتى نموت مكاننا أو نظفر واقتتل الناس قتالاً شديداً ، وحملت قريش وكنانة على قيس من كل وجه حتى انهزمت ، وانتصرت بذلك كنانـة وقريش على بني هوازن . وعرف هذا اليوم بيوم عكاظ [3] .

ولمّا انهزمت قيس ، دخلوا خباء (سبيعة بنت عبد شمس) امرأة (مسعود ابن مُعتب الثقفي) مستجيرين بها ، فأجار (حرب بن أمية) جيرانها ،واستدارت قيس بخبائها حتى كثروا ، فلم يبق أحد لا نجاة عنده إلا دار بخبائها ، فقيل لذلك الموضع : مدار قيس ، وكان يضرب به المثل ، فتغضب قيس [4] .

وقد التقت كنانة وقريش بقيس في يوم آخر يسمى يوم الحُريرة ، وكان على بني بكر بن عبد مناة ، رئيسهم جثامة بن قيس أخو بلعاء بن قيس وذلك لوفاة بلعاء . أما الرؤساء الآخرون ، فبقوا كما كانوا في اليوم الماضي . وبعد قتال اتفقوا

---

١ ابن الاثير (٢٤٦/١) .
٢ العبلاء : علم على صخرة بيضاء الى جنب عكاظ ، العقد الفريد (١٠٧/٦) .
٣ أيام العرب (٣٣٤ وما بعدها) .
٤ أيام العرب (٣٣٥) .

على الصلح وتسوية الديات ، وانصرف الناس من الحرب[1] .

هذه أيام من أيام عديدة أخرى ترد أسماؤها في كتب الأخبار والتواريخ[2] ، نرى أن أسبابها طبيعة البداوة ، وفقر البادية ، وحاجة الناس الى المـاء والمرعى والاعتبارات الاجتماعية وما شاكل ذلك من أسباب أدت الى وقوع تلك الأيام . وقد علقت ذكراها بأذهان الرواة ، لأنها وقعت في عهد لم يكن بعيداً جداً عن الاسلام ، وقد وقعت بالطبع مئات من هـذه الأيام ، محيت أخبارها من ذاكرة حفظة الأخبار ورواتها ، لأنها وقعت في عهد بعيد عن الاسلام أو في أمكنة بعيدة لم يصل مداها الى جُمّاع الأخبار في الاسلام ، فلم يضبطوها في جملة هذا الذي ضبطوه .

والذي نجده من قراءة أسماء الأيام المذكورة ومن أخبارها ، ان معظمها ممـا كان قد وقع في الحجاز أو في نجد أو العراق والبادية وبلاد الشأم والبحرين . أما الأيام التي وقعت في العربية الجنوبية فقلما نجد لها ذكراً عند الأخباريين ، خاصة أيام حضرموت وعمان ، مما يدل على عدم وصول أخبار هذه الأرضين الى علم الأخباريين . والواقع ان علم أهل الأخبار والتأريخ بهذه البلاد ضعيف جداً ، حتى في باب علمهم عنها في الاسلام ، وهو أمر يؤسف عليه .

وتتخلل هذه الأيام أسماء الرجال المشهورين ممن كان لهم أثر خطير فيها ، وهم قادتها ومساعير نيرانها ومكوّنو تأريخ الجزيرة قبل الإسلام . وشأن هؤلاء الرجال من حيث بعدهم وقربهم عن الإسلام ، شأن أيامهم ، فأكثرهم مـن أهل القرن السادس للميلاد ، وممن ماتوا في عهد لم يكن بعيداً عن الإسلام ، أي في النصف الثاني من هذا القرن . لقد صنع القصاصون ومحبو المبالغات من رواة القبائل ، على عادتهـم ، هالة من الأقاصيص والأساطير لأولئك الرجال ، حملت بعض المستشرقين على الشك في حقيقة بعضهم . ولكن وجود القصص الخرافي لا يمنع من الاعتراف بوجود شخص كان قد عاش ومات ، وكان له أثر ظاهر في قومه وأعمال أثرت

---

١ أيام العرب (٣٣٧) ، الاغاني (١٩/٧٩ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (/٣٦٣)، السيرة الحلبية (١/١٤٣) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢/٢٨٩) ، (١٩٣٢ م)، (مطبعة السعادة) .

٢ هناك اسماء أيام أخرى ذكرها أهل الاخبار ، لا يمكننا التوسع فيها اذ يقتضي ذلك جملة مجلدات ، راجع العمدة (٢/٢٠٠ وما بعدها) .

في مواطنيه ، وجعلتهم يوسعونها ويكبرونها الى أن صنعوها بقصصهم بهذا الشكل الذي وصل الى الأخباريين، بنقلهم الرجال من عالم الحقيقة الى عالم الخرافة والخيال.

لقد خلدت تلك الأيام أسماء رجال أثروا تأثيراً مهماً في الحياة السياسية البدوية. لقد أنجز بعضهم أعمالاً لم تنجزها قبائلهم ، فتمكنوا من بسط نفوذهم على كثير من القبائل ومن جمعهـا تحت رئاسته بفضل زعامته وشخصيته . فهذا زهير بن جناب الكلبي تجتمع عليه قضاعة وتنضوي تحت لوائه ، ويفرض الإتاوة على قبائل أخرى من غير قضاعة ، ويحارب غطفان وبكراً وتغلب وبني القين بن جسر ، وهي من القبائل الكبيرة المعدودة ، ثم ينتصر عليها[1] . وهذا كليب بن وائل وهو من معاصري زهير بن جناب ومن المنافسين له ، ومن رجال النصف الأول من القرن السادس للميلاد ، يجمع شمل قبائل ربيعة — وهي قبائل متنافرة متخاصمة — تحت رايته ، ثم يجمع شمل معد ويضمها كلها اليه ، فتكون له الرئاسة على كل قبائلها ، وهو بذلك أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معد[2] .

ومن النفر الذين اجتمعت معدّ عليهم : عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر ابن يشكر بن الحارث — وهو عدوان بن قيس عيلان — وربيعة بن مرة بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب ، وكان قائد معد يوم السلان بين أهل اليمامة واليمن[3] .

ولمع في هذه الأيام اسم حذيفة بن بدر ، واسم حمل أخيه ، وكان سيّدي بني فزارة . وقد عرف حذيفة بـ (رب) معد[4] ، وقاد قومه بني فزارة في عدة أيام ، هي : يوم النسار ، ويوم الجفار ، وحرب داحس والغبراء حيث قتل فيها في يوم الهباءة[5] .

وقد رأينا عدة رجال آخرين يتزعمون قومهم في هذه الأيام ، مثل بسطام بن قيس رئيس بني شيبان، وهو من مشاهير الفرسان، وأحد الفرسان الثلاثة المعدودين ، وهم : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث وبسطام ، وربيعة بن مُرة بن

---

١ ابن الاثير (١/٢٠٥ وما بعدها) ، الاغاني (٢١/٩٣ وما بعدها) ، المفضليات (١١٧) ، Ency., IV, p. 1237.

٢ ابن الاثير (١/٢١٣) .

٣ ابن الاثير (١/٢١٤) .

٤ العمدة (٢/١٩٣) « باب ذكر الوقائع والايام » ، المحبر (٤٦١) .

٥ المحبر (٢٤٩) .

الحارث التغلبي ، والهذيل بن هبيرة الثعلبي من ثعلبة بن بكر ، والحوفزان، وهو الحارث بن شريك بن عمرو بن الشيباني ، والحارث بن وعلة الذّهلي ، وأبجر بن جابر العجلي ، وقيس بن حسان بن عمرو بن مرثد أخو بني قيس بن ثعلبة ، وقتادة بن مسلمة الحنفي ، وأثال بن حجرين النعمان بن مسلمة الحنفي ، والهذيل ابن عمران التغلبي .

وقد دوّنت الأيام أسماء جماعة من سادات تميم ممن ترأسوا قومهم . ولقبائل تميم مكان في هذه الأيام . ويظهر انها كانت من القبائل البارزة في القرن السادس للميلاد . ومن هؤلاء : زرارة بن عدس من بني دارم . وقد قاد تميماً وغيرها في يوم شويحط الى عذرة بن سعد هذيم ، ولقيط بن زرارة ، وقد قاد تميماً كلها إلا بني سعد بن زيد مناة الى بني عامر بن صعصعة يوم جبلة ، والأقرع ابن حابس ، وقد قاد حنظلة كلها يوم الكلاب الأول ، عدا أسماء آخرين تجدهم مذكورين في أخبار الأيام .

وطبيعي أن يكون للفرسان وللفتاك وللشعراء المقام الأول بين أسماء الرجال الذين ترد أسماؤهم في هذه الأيام . وإن لم يكونوا من بيوتات شهيرة معروفة ، لها في الرئاسة ذكر ومقام ، فأعمال المرء كافية لتخليد اسمه بين المشاهير . وإذا كان للشاعر عمل التشجيع والحث على الاقدام ، وإلهاب نار الحماسة في النفوس ، فإن للفارس والفاتك واجباً مهماً في هذه الأيام، فإنهم يقررون في الغالب مصير الحروب ولا سيما الفرسان الفتاك الذين يختارون كبـاش القوم ، فينقضون عليهم ويفتكون بهم ، وبعملهم هذا تنتهي الحرب في الغالب بهزيمة تحل في الجبهة التي تتضعضع بسقوط الرئيس . فإن لسقوط الرئيس صريعاً شأناً كبيراً عند القبائل . فالرئيس هو الرمز المعنوي للقبيلة ، فمتى سقط الرئيس انهارت معنوياتها وخارت قواها ، ولا تستطيع عندئذ الثبات في الميدان ، فيهرب أفرادها في غالب الأحوال، ويكون النصر للجانب الذي أسعده الحظ بوجود فارس عنده قتل رئيس خصمه .

وإذ كان للخيل أثر في حروب تلك الأيام ، في الهجوم والدفـاع وفي الكر والفر ، فإن القبيلة التي كانت تملك فرساناً وعدداً وافراً من الخيل ، هي القبيلة المنتصرة الرابحة التي يخشى بأسها ، فلا يطمع فيها الطامعون ، ولا يهاجمها مهاجم بسهولة ، ولها يكون الفخر على القبائل بكثرة ما لديها من خيل ومن فرسان ،

لأن للفرس والفارس شأناً كبيراً في سرعة كسب الحرب ، وتفتيت جبهة العدو ، واحداث ثُغَر في صفوفه ، تؤدي الى تشتيت شمله وبعثرته ثم هزيمته هزيمة منكرة. وهي لقوتها هذه لم تكن تعتمد على غيرها في الحروب والغزو ، إلا إذا قابلت بالطبع قوة كبيرة من القبائل لا يمكن التغلب عليها إلا بالتعاون مع القبائل الأخرى فعندئذ تضطر الى البحث عن حليف .

الفروسية :

والفارس فخر القبيلة ، لأنه المدافع عنها في الحروب والمهاجم الكاسر للأعداء . وهو أهم من الراجل في القتال ، لما له من أثر في كسب النصر وفي ايقاع الرعب والفوضى في صفوف العدو . ولهذا فخرت القبائل بفرسانها ، وفي كثرة الفرسان في القبيلة دلالة على عظمتها وقوتها . نظراً لغلاء ثمن الفرس ، ولأهميته في تطوير الحرب وفي توجيهها . وانهائها في صالح من له أكبر عدد من الفرسان .

ومن حسن حظ القبيلة أن يكون بها عدد وافر من الفرسان ، وعدد من الشعراء. فالفارس فنان القبيلة في الحرب وفارسها في الطعان وحامي الذمار والعرض، والشاعر فارس الكلام ، يؤجج نيران العواطف ويلهب جذوة الحماس في النفوس، ويدفع الفارس إلى الإقدام ، وبذلك يساعد في كسب النصر لقبيلته ، وفي الدفاع عن عرض القبيلة بسلاحه الموزون المقفى .

وقد حفظت ذاكرة أهل الأخبار أسماء جماعة من فرسان الجاهلية ، دوّنت في كتبهم ، فوصلت بفضل تدوينهم لها الينا . وعلى رأس من دوّنوا أسماءهم في الشهرة وبعد الصيت : (عنترة بن شداد العبسي) الذي لا يزال الناس يضربون به المثل في الشجاعة . وهو أحد (أغربة العرب) وهم ثلاثة : أولهم هو ، وثانيهم (خفاف) واسم أمه (ندبة) ، وثالثهم (السليك) واسم أمه (السلكة) ، وأم الثلاثة إماء سود . كانت أم (عنترة) أمة سوداء ، اسمها (زبيبة) ، فلما كبر أغار بعض أحياء العرب على قوم من (عبس) ، فأصابوا منهم . فتبعهم العبسيون ، فلحقوهم فقاتلوهم وفيهم عنترة . فقال له أبوه (كر يا عنترة) ، فقال : « العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر » ، وذلك ان العرب في الجاهلية كانت اذا كان لأحدهم ولد من أمة استعبده ، فعدّ (عنترة) من العبيد .

فقال له : كر وأنت حر . فقاتلهم واستنقذ ما في أيدي القوم من الغنيمة،فادعاه أبوه بعد ذلك ، واسمه (عمرو بن شداد) . فنسب اليه .

وقد برز اسمه في حرب (داحس والغبراء). وقد قتل فيها ضمضماً المريّ، أبا الحصين بن ضمضم . وقد كان مصيره القتل كذلك . وتزعم (طيء) ان قاتله منها . ويزعمون ان الذي قتله (الأسد الرهيف)[1] .

ومن مشاهير الفرسان (ربيعة بن مكـــدم) وهو من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة . وقد عرف (بنو فراس) بالشجاعة والنجدة . وقد كان يعقر على قبره تعظيماً له وتقديراً . مر على قبره (حسان بن ثابت) ، فقال فيه شعراً[2] .

و (ملاعب الأسنة) ، وهو (عامـر بن مالك بن جعفر بن كلاب) ، (أبو براء) . وهو ممن اشتهر بالفروسية كذلك . وكان سيداً في قومه . ذكر انه أخذ أربعين مرباعاً في الجاهلية . وفي ذلك دلالة على ما كان له من مقام في قومه . قيل انه سمي (ملاعب الأسنة) بقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع[3]

وقد عرف بـ (ملاعب الرماح) كذلك[4] . وقد لقب بهذا اللقب في شعر الشاعر (لبيد)[5] .

وذكر (السكـــري) . (عامرَ بن مالك) في جملـــة من اجتمعت عليه هوازن . ولم تجتمع هوازن كلها في الجاهلية إلا على أربعة نفر من (بني جعفر ابن كلاب) وهم : (خالد بن جعفر بن كلاب) بعد قتله (زهير بن جذيمة ابن رواحة) و (عروة الرحّال بن عتيبة بن جعفر) و (الأحوص بن جعفر)

---

١ بلوغ الارب (١٢٦/٢ وما بعدها) ، الدينوري ، عيون الاخبار (١٢٥/١) .
٢ بلوغ الارب (١٢٥/٢) .
٣ بلوغ الارب (١٢٧/٢) ، تاج العروس (٤٢٣/٣) ، (عمر) ، (ومن رجال بني جعفر بن كلاب : عامر بن مالك ملاعب الاسنة ، وابن أخيه عامر بن الطفيل) ، الإشتقاق (١٨٠/٢) ، الاصابة (٢٤٩/٢) ، (رقم ٤٤٢٤) .
٤ الثعالبي ، ثمار (١٠١ ، ١٠٢) .
٥ الثعالبي ، ثمار (١٠١) .

و (عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب)[1] .

و (عامر بن الطفيل بن مالك بن كلاب العامري) ، من فرسان الجاهلية المعروفين أيضاً ، وهو ابن أخي (عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، وقد أدرك الاسلام فكان في جملة من وفد مع قومه في سنة تسع من الهجرة على الرسول . وكان قد أضمر الغدر برسول الله . ولكنه لم يتمكن منه . ثم قال لرسول الله : أتجعل لي نصف ثمار المدينة وتجعلني ولي الأرض بعدك فأسلم ؟ فأبى عليه رسول الله . فانصرف عامر وقال : والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً . وكان متعجرفاً متغطرساً ، لما ناله من مكانة عند قومه . حتى زعم أهل الأخبار ان اسمه كان قد طار الى خارج جزيرة العرب ، حتى بلغ (قيصر) ، فكان (قيصر) إذا قدم عليه قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ حتى وفد عليه (علقمة ابن علاثة) فانتسب له ، فقال : ابن عم عامر بن الطفيل ، فغضب علقمة[2] . ورجع ونافر (عامر بن الطفيل) في قصص من هذا القصص المألوف وروده عن أهل الأخبار .

وروى بعض أهل الأخبار ، أن (عامر بن الطفيل) لما مات نصبت بنو عامر نصاباً ميلاً في حمي على قبره ، لا تنشر فيه راعية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش . تعظيماً لقبره واحتراماً لذكراه[3] .

وذكر (أبو عبيدة) ، أن (عامر بن الطفيل) ، أحد فرسان العرب المعروفين و (فرسان العرب ثلاثة : فارس تميم : عتيبة بن الحارث بن شهاب، وكان يقال له صيّاد الفوارس وسم الفوارس ، وفارس ربيعة : بسطام بن قيس ابن مسعود ، وفارس قيس:عامر بن الطفيل ملاعب الأسنة . فأما ملاعب الرماح فأبو براء عامر بن مالك بن جعفر)[4] . وذكر أن (عامر بن مالك بن جعفر)، (أبو براء) ، بعث الى رسول الله يسأله أن يوجه اليه قوماً يفقهونهم في الدين،

---

١ المحبر (٢٥٣ وما بعدها) ، أسد الغابة (٣/٨٤) .

٢ بلوغ الارب (٢/١٢٩) ، الاشتقاق (١٨٠ ، ٢١٥) ، الاغاني (١٥/٥٠ ، ١٣١).

٣ بلوغ الارب (٢/١٣١) ، العقد الفريد (١/١٧٢) .

٤ الثعالبي ، ثمار (١٠١) ، (وبسطام اسم فارسي . وبسطام أحد الفرسان الثلاثة المذكورين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وبسطام هذا) ،الاشتقاق (٢/٢٢٥) .

فبعث اليهم قوماً من أصحابه ، فعرض لهم (عامر بن الطفيل) ، فقتلهم يوم (بئر معونة) فاغتم أبو براء لذلك ، وقلق لاغفار عامر بن الطفيل بقتلهم ذمته . ومات (عامر بن الطفيل)، وهو منصرف من عند رسول الله ، ودعا (أبو براء) قينتين له ، واستدعى (لبيداً) ، وأخذ يشرب حتى أثقله الشراب ، فاتكأ على سيفه حتى فاضت نفسه ، فرثاه (لبيد) ، ودعاه بـ (ملاعب الرماح)[1] .

وقد عدّه أهل الأخبار في جملة (من كان يركب الفرس الجسام فتخط إبهاماه في الأرض)[2] ، وفي جملة (العوارن الأشراف)[3] . وقد نافر (عامر ابن الطفيل) (علقمة بن علاثة) عند (هرم بن قطبة بن سنان)[4] .

وزُعم انه كان في جملة من أوفدهم (النعمان بن المنذر) الى (كسرى) ليبينوا له مكارم العرب . وفي الوفد : أكثم بن صيفي ، وحاجب بن زرارة ، والحارث بن عبّاد البكري ، وعمرو بن الشريد السلمي ، وخالد بن جعفر الكلابي،وعلقمة بن علاثة . فتكلم في جملة من تكلم منهم . ودوّن أهل الأخبار كلامهم وأجوبة كسرى عليه ، وكأنهم كانوا كتّاب محضر ، دوّنوه بالنص[5] ! وله منافرة مع (علقمة بن علاثة) ، كان حكمها (هرم بن قطبة بن سنان) الفزاري . وقد سجل أهل الأخبار حديثها بالنص كذلك[6] .

ويعدّ (زيد الخيل) من مشاهير فرسان العرب كذلك ، واسمه (زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي) . وهو من سادات (طيء) ومن الشعراء . وكان بينه وبين (كعب بن زهير) هجاء ، لأن كعباً اتهمه بأخذ فرس له . قدم في وفد طيء ، وهو سيدهم على الرسول . فلما انتهوا اليه كلموه . وعرض عليهم الاسلام فأسلموا . ثم بدل الرسول اسمه فسماه زيد الخير . وكلمه فأعجبه فلما ولى عائداً من عنده الى وطنه قال الرسول : « ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل ، فإنه لم

---

١ الثعالبي ، ثمتر (١٠١ وما بعدها) ، المحبر (١١٨) .
٢ المحبر (٢٣٤) .
٣ المحبر (٣٠٣) .
٤ المحبر (١٣٥) .
٥ البيان والتبيين (١/٤٥) .
٦ بلوغ الارب (١/٢٨٨ وما بعدها) .

يبلغ فيه كل ما فيه » ، وقطع له (فيداً) وأرضين معه . وكتب له بذلك . فلما عاد من المدينة وانتهى الى ماء من مياه نجد يقال له : (قردة) أصابته الحمى، حمى يثرب الشهيرة المكناة عندهم بـ (أم ملدم) ، فمات بها[1] .

وكان كما يصفه أهل الأخبار طويلاً جسيماً وسيماً يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه في الأرض كأنه راكب حماراً . أسر عامر بن الطفيل وجز ناصيته[2]. (قيل له زيد الخيل لطول طراده بها وقيادته لها)[3] . وقد عدّه (ابن حبيب) في جملة المتعممين مخافة النساء على أنفسهم لجمالهم[4] .

ومن الفرسان (عمرو بن معديكرب) ، وهو ممن وفد على رسول الله في قومه من (زبيد) . فأسلم ثم ارتد بعد وفاة الرسول[5]. فلما سيّر الخليفة (أبو بكر) جيشاً على المرتدين انهزم (عمرو بن ودّ) ، ثم أخذ أسيراً الى الخليفة ، فأنبه فعاد الى الاسلام واشترك في معركة (اليرموك) ثم في معركة (القادسية) وتوفى سنة (٢١) من الهجرة[6] . ويعد (فارس اليمن)[7] . ونعته (ابن حبيب) بـ (فارس العرب)[8].

ومنهم : (دريد بن الصمة) ، وهو من (بني جشم) . وله أخبار مع (بني كنانة) ، وقد أسرته بنو فراس من (بني كنانة) ، فلما عرفته امرأة منهم وهي امرأة (ربيعة بن مكدم) ، توسلت الى قومها بفك أسره ، لمساعدته لها في وقت شدة وهو لا يعرفها وهي لا تعرفه ، ثم جهزته ولحق بقومه[9] . وقد عدّه (ابن حبيب) من (أشراف العميان) و (البرص الأشراف)[10] .

---

١ الطبري (٣/١٤٥ ومابعدها) ، (وكان شاعرا ، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، فسماه زيد الخير ، وقال له : يا زيد ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الاسلام الا كان دون الصفة ليسك ، يريد غيرك) ، الثعالبي ، ثمار (١٠١) .

٢ بلوغ الارب (٢/١٣٨) .

٣ الثعالبي ، ثمار (١٠١) .

٤ المحبر (٢٣٢ وما بعدها) .

٥ الطبري (٣/١٣٢ وما بعدها) .

٦ بلوغ الارب (٢/١٣١ وما بعدها) ، الثعالبي ، ثمار (٤٣٩ ، ٥٣٥ ، ٦٢١) ، وفقئت عينه يوم اليرموك ، المحبر (٢٦١ ، ٣٠٣) .

٧ الثعالبي ، ثمار ٦٢١ وما بعدها) .

٨ المحبر (٢/٢٤٥) .

٩ بلوغ الارب (٢/١٣٤ وما بعدها) ، الثعالبي ، ثمار (٣٩٧) ، (فمن بني غزية دريد بن الصمة) ،الاشتقاق (١٧٧) .

١٠ المحبر (٢٩٨ ، ٢٩٩) .

وزيد الفوارس من هذا الرعيل الشهير من فرسان الجاهلية . وكان الرؤساء في قومه . وشهد يوم (القرنتين) ومعه ثمانية عشر من ولده يقاتلون معـــه . وهو من سادات (بكر بن سعد بن ضبة) . وهو (زيـد الفوارس بن حصين بن ضرار الضبي) . وقد طالت رياسته[1] .

ومنهم (عمرو بن كلثوم) الشاعر الشهير قاتل (عمرو بن هند) ملك الحيرة وصاحب المعلقـــة . وينتهي نسبه الى (تغلب) ، وهو أحد فتاك العرب وأخوه (مرة) هو الذي قتل (المنذر بن النعمان)،وأمه (أسماء بنت مهلهل بن ربيعة). وقد ساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، ومات وهو ابن مائة وخمسين سنة[2] .

ومن الفرسان الشجعان (أمية بن حرثان الكناني) ، وكان من سادات قومه، وقد أدرك النبي وأسلم ، وله ولـــد اسمه (كلاب بن أمية) دخل في الإسلام كذلك[3] .

ومن الفرسان (الشنفرى الحارثي) وهو من الشعراء وأحد العدّائين. والعداؤون من العرب : السليك ، والشنفرى ، والمنتشر بن وهب ، وأوفى بن مطـــر . ولكن المثـــل سار من بينهم بالسليك . والعرب تضرب به المثل ، وتزعم انـــه والشنفرى أعدى من رئي . ويزعمون انهما كانا يسبقان الأفراس ، ويصيدان الظباء عدواً[4] . وقد عرف السليك بـ (سليك المقانب) ومقانب أمـــه ، وكانت أمه سوداء ، وسليك أيضاً أسود ، وهو أحد أغربة العرب[5] .

ولمع في هذه الأيام اسم حذيفة بن بدر ، واسم حمل أخيـــه ، وكانا سيدي بني فزارة . وقد عرف حذيفة بـ (رب) معد[6] ، وقاد قومه بني فزارة في عدة أيام هي : يوم النسار ، ويوم الجفار ، وحرب داحس والغبراء حيث قتل فيها

---

١ بلوغ الارب (١٣٧/٢ وما بعدها) ، (قال الفرزدق :
زيد الفوارس وابن زيد منهم وأبو قبيصة والرئيس الاول
وزيد الفوارس بن حسين بن ضرار . واشتقاق قبيصة من قولهم قبصت قبصة ، أي أخذت بثلاث أصابعي شيئا) ، الاشتقاق (١٢٠) .
٢ بلوغ الارب (١٤١/٢ وما بعدها) .
٣ الاشتقاق (١٠٧) ، بلوغ الارب (١٣٨/٢) .
٤ الثعالبي ، ثمار (١٣٥) .
٥ الاغاني (١٣٣/١٨ وما بعدها) ، الثعالبي ، ثمار (١٠٥) .
٦ العمدة (١٩٣/٢) (باب ذكر الوقائع والايام) المحبر (٤٦١) .

يوم الهباءة [1] .

وقد دونت الأيام أسماء جماعة من سادات تميم ممن ترأسوا قومهم . ولقبائل تميم مكان خطير في هذه الأيام . ويظهر انها كانت من القبائل البارزة في القرن السادس للميلاد . ومن هؤلاء : زرارة بن عدس من بني دارم . وقد قاد تميماً وغيرها في يوم شويحط الى عنزة بن سعد هذيم ، ولقيط بن زرارة ، وقد قاد تميماً كلها إلا بني سعد بن زيد مناة الى بني عامر بن صعصعة يوم جبلة،والأقرع ابن حابس ، وقد قاد حنظلة كلها يوم الكلاب الأول، عدا أسماء آخرين تجدهم مذكورين في أخبار الأيام .

الخيل :

وللخيل أهمية كبيرة في جزيرة العرب ، إنها سيارة ذلك اليوم ، بل ربما كانت أهم منها عند العربي : يركبها ويحارب عليها بسهولة وبسرعة لا تتوفر في الجمل ويستطيع أن يسابق بها الإبل ، ويفر ممن يريد اللحاق به لشرّ ينويه تجاهه.ولذلك كانت للخيل مكانة كبيرة عند الجاهليين في السلم وفي الحرب ، حتى كان الرجل منهم يبيت طاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده. فالخيل وقاية للنفس، والمعاقل التي يأوي اليها ، والخير عندهم معلق بنواصي الخيل [2] .

ويرجع أهل الأخبار تأريخ ركوب الخيل الى (اسماعيل بن ابراهيم)،يزعمون أنه أول من ركبها،وكانت الخيل وحوشاً لا تركب . فذهب الى موضع (أجياد)، وهو موضع بمكة يلي الصفا ، وكان موطناً له ، فركب ظهور الجياد . وركب الناس منذ ذلك العهد الخيل . فاسماعيل على زعمهم هو أول راكب للخيل [3] . ويلاحظ أن راوي هذا الخبر أراد اقناع السائل بصحة جوابه ، فربط بين ركوب ظهور الجياد وبين موضع أجياد ، ليبدو الجواب منطقياً مقبولاً .

وقد مدحت العرب الخيل العراب . أي الخيول العربية الأصيلة،التي لم تهجن،

---

١ المحبر (٢٤٩) .
٢ بلوغ الارب (٢/٧٧ وما بعدها) .
٣ نهاية الإرب (٩/٣٤٥ وما بعدها) .

ولم يختلط في دمها دم غريب[1] . وقد مدحت الخيل الشقر ، وذلك لسرعتها ، ومدحت بعدها الحصان الأدهم الأرثم المحجل الطلق اليد اليمنى[2] . وقيل للخيل الكريمة الأصيلة (العتاق من الخيل) و (الخيل العتاق)[3] .

وقد كانت الخيل من جملة وسائل كسب الحروب . والفريق الذي يملك أكبر عدد من الخيل في المعركة يكسب الحرب . وذلك لسرعتها ولما تحدثه تحركات المحارب على ظهرها من أثر في صفوف جيش العدو . ولهذا عدّ بعض الباحثين دخول الخيل الى جزيرة العرب تطوراً خطيراً في أسلوب القتال عند العرب ، أحدث تغييراً خطيراً في طرق القتال وصار عاملاً مهماً من العوامل التي أدت الى انتشار القتال والغزو في بلاد العرب . وصار في امكان القبيلة التي تملك خيلاً جيدة كثيرة أن تتفوق على غيرها في الغزو ، حتى إذا كانت القبيلة كبيرة ، لأن العدد الكثير وان كان ذا أهمية في النصر ،ولكنه لا يستطيع أن يقف أمام الفرسان ، ان كان المحاربون من المشاة أو كان أكثرهم منهم . إذ لا يستطيع الثبات أمام صولات وجولات الفرسان الذين يشتتون شمل الصفوف ويمزقون الجمع ، ويمهدون لمن وراءهم من المشاة فرصة الانقضاض على الفارين المنهزمين .

ولأهمية الخيل عند العرب ألّف كثير من العلماء كتباً فيها ، تجد ذكرهم في (الفهرست) لابن النديم . ومن هؤلاء (ابن الكلبي) صاحب كتاب (أنساب الخيل)[4] و (ابن الأعرابي) صاحب كتاب (أسماء الخيل)[5] .

ووضعوا جرائد ومشجرات في أنساب الخيل . حرصاً منهم على المحافظة على أصالتها وبقاء جنس ما عندهم نقياً نظيفاً . ومنعوا الفحول الجيدة منها من الاتصال بالأفراس الرديئة أو الأفراس المجهولة التي ليس لها نسب معروف . حتى لا يتولد من هذا الاتصال نسل رديء هجين . بل حرص صاحب الحصان الجيد على ألاّ يعطيه لأحد ليتصل بفرسه حتى وإن كانت غاية في النجابة ، وذلك خشية أن ينسل نسلاً فاخراً لغيره ولا يكون له منه شيء . ولا تزال هذه العادة معروفة

---

١ تاج العروس (٣/٣٣٥ وما بعدها) .
٢ نهاية الارب (٩/٣٦٢ وما بعدها) .
٣ اللسان (١٠/٢٣٦) .
٤ طبع بمدينة « لايدن » وبالقاهرة بمطبعة بولاق .
٥ طبع بمدينة « لايدن » .

عند العرب حتى الآن ، فهم يحفظون أنساب خيولهم حفظاً عجيباً ، من غير رجوع الى جريدة نسب أو شجرة من شجرات النسب . كما يحافظون على النسل الجيد من الخيول العربية ، ويعتنون به عناية فائقة ، إذ يرون أنه زينة وبهجة للمرء ، ومن ملذات الحياة في هذه الدنيا .

ومن دلائل عناية الجاهليين بالخيل ما نجده في اللغة من ألفاظ وكلمات كثيرة تخص الخيل . تخص أسماءها وأسماء أعضاء جسمها وحركاتها وسكناتها وأوصافها وألوانها ، حتى انهم لم يتركوا شيئاً له علاقة بها إلا ذكروه . فلا عجب إذن إذا ما ألفوا فيها الرسائل والكتب وتحدثوا عنها حديثاً طويلاً في الجاهلية وفي الاسلام .

وقد اشتهرت بعض الجياد في الجاهلية بشدة عَدوِها فلا تدانيها في العدو خيول أخرى ، وفي مقدمتها فرس عرف بـ (زاد الركب) (زاد الراكب) ، قالوا إن أصل فحول العرب من نتاجه . وقد زعم ابن الكلبي أنه من بقية جياد سليمان ابن داود ، وأن وفداً من (الأزد) ، وكانوا أصهاره ، وفدوا عليه ، فلما فرغوا من حوائجهم سألوه أن يعطيهم فرساً من تلك الخيل، فأعطاهم فرساً كانوا لا ينزلون منزلاً إلا ركبه أحدهم للقنص ، فلا يفلته شيء وقعت عينه عليه من ظبي أو بقر أو حمار ، إلى أن قدموا بلادهم فقالوا : ما لفرسنا هذا اسم إلا زاد الراكب ، فسموه زاد الراكب ، فأصل فحول العرب من نتائجه[1] .

واشتهر فرس آخر بسرعته وبشدة عدوه اسمه (أعوج) ، زعم انه من نسل (زاد الراكب) . قيل : انه كان سريعاً جداً لا يدانى في العَدْو . وكان فحلاً لغني بن أعصر . وقد عرف بـ (أعوج الأكبر)[2] .

وكان (أعوج) الأصغر أولاً لكندة ، ثم أخذته (سُليم) وصار لبني عامر ثم لبني هلال . وأمه (سبل) لغني ، وأم (سبل) (سوادة) (البشامة) ، وأم (سوادة) (القسامة) ، وكانت لجعدة . وكان أعوج طويل القوائم سريع العدو . ولهم أيضاً (الفياض)[3] . وقد اشتهر نسله،واكتسب شهرة في العتاق من

---

١ العقد الفريد (١/١٨٤) ، نهاية الارب (١٠/٣٩) ، أسماء الخيل ، لابن الاعرابي (ص ٥٠) ، « زاد الركب » .

٢ العقد الفريد (١/١٨٥) ، نهاية الارب (١٠/٣٩) ، بلوغ الارب (٢/١٠٤) .

٣ نهاية الارب (١٠/٤٠) ، العمدة (٢/٢٣٤) ، « وأمه سبل كانت لغني ، وأم سبل البشامة ، كانت لجعدة » ، العمدة (٢/٢٣٤) ، « القاهرة ١٩٦٤ » « المكتبة التجارية » .

الخيل[1] .

ومن خيل العرب المشهورة : (الغراب) و (الوجيه) و (لاحق) و (المذهب) و (مكتوم) ، كانت كلها لغني[2] . وذكر ان (الوجيه) و (لاحق) لبني أسد[3] ، وقيل لبني سعد[4] . و (الأعنق) فحل من خيل العرب ، أنجب سلالة نسبت اليه عرفت بـ (بنات أعنق)[5] .

ومن خيل العرب الشهيرة الأخرى : (قيد) و (حلاب) لبني تغلب . و(الصريح) لبني نهشل ، وزعم انه كان لآل المنذر ، و (جلوى) لبني ثعلبة بن يربوع ، وذو العقال لبني رياح بن يربوع ، وهو أبو (داحس) . وكان (داحس) و (الغبراء) لبني زهير . والغبراء خالة داحس وأخته من أبيه . و (ذو العقال) و (قرزل) و (الخطّار) و (الحنفاء) لحذيفة بن بدر . والحنفاء هي أخت داحس من أبيه وأمه . و (قرزل) آخر للطفيل بن مالك[6] .

و (حذفة) لخالد بن جعفر بن كلاب ، وحذفة أيضاً لصخر بن عمرو بن الشريد . و (الشقراء) لزهير بن جذيمة العبسي و (الزعفران) لبسطام بن قيس ، و (الوريعة) (الوديقة) و (نصاب) و (ذو الخمار) لمالك بن نويرة ، و (الشقراء) أخرى لأسيد بن حناءة السليطي ، و (الشيط) لأنيف بن جبلة الضبي ، و (الوحيف) (الوجيف) لعامر بن الطفيل ، و (الكلب) و (المزنوق) والورد له أيضاً ، و (الخنثى) (خنثى) لعمرو بن عمرو بن عدس ، و (الهداج) فرس الريب بن شريق السعدي ، و (جزة) فرس يزيد بن سنان المرّي فارس غطفان ، و (النعامة) للحارث بن عباد[7] .

و (ابن النعامة) لعنترة ، و (النحام) فرس (السليكة بن السليك السعدي) و (العصا) فرس جذيمة بن مالك الأزدي ، و (الهراوة) لعبد القيس بن أفصى

---

١ نجى حكيما يوم بدر ركضه كنجاء مهر من بنات الاعوج بلوغ الارب (٢/١٠٥) ، شرح ديوان حسان (٦٩) ، (للبرقوقي) .
٢ نهاية الارب (١٠/٤٠) .
٣ نهاية الارب (١٠/٤٠) .
٤ العمدة (٢/٢٣٤) .
٥ تاج العروس (٧/٢٦) ، (عنق) .
٦ نهاية الارب (١٠/٤١) ، العمدة (٢/٢٣٥) .
٧ نهاية الارب (١٠/٤١ وما بعدها) . العمدة (٢/٢٣٥) ، أنساب الخيل ، (ص ٦٦ وما بعدها) ، أسماء الخيل (ص ٦٤ وما بعدها) .

و (اليحموم) فرس النعمان بن المنذر ، و (كامل) فرس زيد الخيل ، و (الزبد) (الربد) (الريد) فرس الحوفزان ، وهو أبو (الزعفران) فرس بسطام ، و (العرادة) (الحمالة) فرس الكلحبة اليربوعي[1] .

و (القطيب) و (البطين) فرسان كانا للعرب ، و (اللعاب) (العباية) فرسا حريّ بن ضمرة ، و (المدعاس) فرس النواس بن عامر المجاشعي ، و (صهبى) فرس النمر بن تولب ، و (حافل) فرس مشهور ، ذكره (حرب بن ضرار) و (العسجدي) لبني أسد ، و (الشموس) فرس زيد ابن خذاق (حذاق) العبدي ، و (الضيف) لبني تغلب ، و (هرارة الغراب) فرس الريّان بن حويص العبدي ، جاءت سابقة طول أربع عشرة سنة ، فتصدق بها على العُزّاب يتكسبون عليها في السباق والغارات ، و (الحرون) فرس تنسب اليه الخيل ، وكان لمسلم بن عمرو بن أسد (أسيد الباهلي) ، و (الزليف) فرس مشهور ، وهو من نسل (الحرون) و (مناهب) فرس تنسب اليه الخيل أيضاً ، و (العلهان) فرس أبي مليل (مليك) عبدالله بن الحارث اليربوعي[2] .

وذكر أن أفراس العرب الشهيرة أفراس عرفت بـ (الكامل) منها : فرس ليمون بن موسى المري ، وقال بعضهم بل كان لامرىء القيس . وفرس لرفاد ابن المنذر الضبي ، وفرس الهلقام الكلبي ، وفرس الحوفزان بن شريك الشيباني، وفرس سنان بن أبي حارثة المريّ ،وفرس زيد الفوارس الضبي ، وفرس شيبان النهدي ، وفرس زيد الخيل الطائي[3] .

ومن أفراس العرب : فرس عرفت بـ (الكاملة) ، وهي بنت البعيث ، فرس عمرو بن معديكرب . وفرس ليزيد بن قنان الحارثي[4] .

وكان للرسول تسع عشرة فرساً ، اشترى بعضاً منها ، وتقبل بعضاً منها هدية. وقد اشترى (الضرس) من أعرابي بعشر أواق ، وسماه النبي (السكب) وهو فرسه يوم أحد ، ليس مع المسلمين فرس غيره[5] . واشترى (المرتجز)

---

١ العمدة (٢/٢٣٥) ، نهاية الارب (١٠/٤٣ وما بعدها) .
٢ العمدة (٢/٢٣٥ وما بعدها) ، نهاية الارب (١٠/٤٦ وما بعدها) ، وكذلك أنساب الخيل ، وأسماء الخيل .
٣ تاج العروس (٨/١٠٤) ، (كمل) .
٤ تاج العروس (٨/١٠٤) ، (كمل) .
٥ نهاية الارب (١٠/٣٣ وما بعدها) ، العمدة (٢/٢٣٤) ، المعارف (٦٥) .

و (البحر) ، وقـد اشتراه من تجار قدموا من اليمن ، فسبق عليه مرات[1] . واشترى (سبحة) من أعرابي من (جهينة) بعشرة من الإبل .

ومن الخيل التي أهديت للرسول : (اللحيف) (اللخيف) (النحيف) ، أهداه له : (فروة بن عمرو) من أرض البلقاء ، وقيل أهداه له : (ربيعة بن أبـي البراء) و (الظرب) ، أهداه له (فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي)، و (الورد) ، أهداه له (تميم الداري) ، و (المراوح) أهداه له وفد من الرهاويين ، و (اللزاز) أهداه له (المقوقس)[2] .

ويدفعنا الكلام في تعداد أسماء خيول العرب الشهيرة في الجاهلية الى ذكر جريدة طويلة بأسمائها . ترد في كتب الخيل وفي كتب المعجمات والأدب[3] ، ولمـا كان هذا الموضوع معروفاً ومدوّناً ولا صلة له بالعقلية وبالحياة الجاهليـة لذلك اكتفيت بما أوردته عنها في هذا المكان ، ولمن أراد المزيد الرجوع الى الموارد المذكورة .

---

١ نهاية الارب (١٠/٣٥) ، المعارف (٦٥) .

٢ « ذكر أسماء خيل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ، نهاية الارب (١٠/٣٣ وما بعدها) ، العمدة (٢/٢٣٤) « باب العتاق من الخيل ومذكوراتها » ، المعـارف (ص ٦٥) .

٣ بلوغ الارب (٢/١٠٤ وما بعدها) ، (خيل العرب المشهورة) .